8me Année No. 341

Lundi - 15 - 1 - 1940

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع المبتديان رقم ٣٤
عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٣٤١ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ ذو الحجة سنة ١٣٥٨ — الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٤٠ » السنة الثامنة

الفهـــــرس

صفحة

٨١ من مذكراتي اليومية ... : أحمد حسن الزيات ... ...
٨٣ فكاهات الحرب ... ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٨٥ تلك أيام خلت ... ... : الدكتور زكي مبارك ... ...
٨٨ ذريني . . . ! ... ... : الأستاذ كامل محمود حبيب
٨٩ الناي ... ... [قصيدة] : الدكتور بشر فارس ... ...
٩٠ عبد الرحمن رشدي وأثره في تاريخ المسرح المصري ... : الأستاذ زكي طليمات ... ...
٩٣ كبرياء ... ... [قصيدة] : الدكتور ابراهيم ناجي ... ...
٩٤ الفروق السيكلوجية بين الأفراد : الأستاذ عبد العزيز عبد المجيد
٩٦ الأدب الفنلندي ... ... : الأستاذ صديق شيبوب ...
٩٨ هكذا تكلم هتلر ! [قصيدة] : « رسول » ... ...
٩٩ بيرون ... ... : الأستاذ محمود الخفيف ...
١٠١ الأدب في أسبوع ... ... : الأستاذ محمود محمد شاكر ...
١٠٤ هشت . . . ! ... ... : الأستاذ عزيز أحمد فهمي ...
١٠٧ بعد الأوان ... [قصة] : الأستاذ محمد سعيد العريان
١١٠ قيصر ستالين الرهيب ... : من مجلة « باريد » الانجليزية
التحالف الدولي لأجل السلام : عن « وسترن ميل » نيوكاسل
١١١ كيف نضطلع بأعباء الزواج : من مجلة « يو » ... ...
١١٢ عود إلى المسرح ... ... : الدكتور بشر فارس ... ...
١١٣ نهج البلاغة أيضاً ... ... : الأستاذ توفيق الفكيكي ...
في معنى بيت وإعرابه .. : الأستاذ عبد المتعال الصعيدي
١١٤ في عيد القاهرة الألفي ... : ... ...
إلى الأستاذ الجليل « ن » . . : الأستاذ عوض السيد السحل
ويل الحقائق منا ... ... : الأديب أحمد جمعة الشرباصي
إعراب جملة ... ... : الأديب « ع . مصطفى » ...
١١٦ الوحدة المذهبية في شمال أفريقيا : الأستاذ أحمد الكندي ...
القصص المدرسية ... ... : ... ...
١١٧ كتاب الامتاع والمؤانسة [نقد] : « ع . س » ... ...
١١٩ المسرح والسينما ... ... : أبو الفتح الاسكندري ...

١٤ ـ ٦

من مذكراتي اليومية

من عادتي كلما ثقل عليّ الحاضر وضاقت بي الحال أن أعود إلى ماضيَّ فأنشر عهوده وأجترّ ذكرياته . وسبيلي إلى ذلك استغراق الفكر فيما سجلت صحائف الصبي من حوادث ، أو العيش مع إخواني الذاهبين فيما كتبت وكتبوا من رسائل ، أو الرجوع إلى ما دوّنتُ في مذكراتي اليومية من خواطر . وكان لينايرَ من دون الشهور نوطة شديدة بالقلب وأثر بالغ في الذاكرة؛ فوقع في نفسي وأنا أهم بالكتابة فيما أوحاه إليَّ أسبوعه الثاني ، أن أتصفح مذكراتي لأقرأ ما كتبته فيه سنة من السنين . فتناولت جزءاً من أجزائها المتروكة وفتحته على موضع هذا الشهر منه فإذا بي أقرأ في يومه الرابع عشر ما أنقله إليك بحرفه :

يوم الجمعة ١٤ يناير سنة ١٩٣٨

في مثل هذا اليوم من سنة ١٩٣٢ وُلد لي ولدان : طفل وكتاب. أذكر هذا كل الذكر، لأنني في ذلك اليوم المقرور عدت في مُتوع الضحى من دار المعلمين بالكرخ إلى داري بالرصافة ، فلزمتها جالساً أمام المدفأة الموقدة أكتب الفصل الأخير من كتابي: (العراق كما رأيته) . ثم جاءني النبأ من مصر بعد ذلك بأن (رجاء) وُلد في هذا اليوم نفسه . وكان طفلي وكتابي أعز شيء عليّ؛ لأن ابن نفسي كان نتيجة أربعين سنة من خير عمري ، وابن فكري كان نتيجة ثلاث سنين من خير عملي

أجل، قضيت ثلاث سنين في تأليف (العراق كما رأيته)! جمعت مادته من الآثار والأسفار والأساطير والكتب والمناظر والأحاديث في سنتين، ثم حررته وأنشأته ببغداد في سنة؛ فلم أكتب منه في القاهرة إلا رحلتي إلى كردستان والموصل وجبال عبدة الشيطان، وإلا عودتي إلى سورية عن طريق دير الزور وحلب. ثم وجهت عزيمتي إلى نشره فهيأته للطبع وتربصت به مواتاة الفرصة. ولكن الفرصة اتاقلت حتى وفد إلى مصر صديق من رجالات العراق له بصر وخطر، فرغب أن يقرأ فيه ما كتبت عن بعض الناس وما علقت على بعض الحوادث، فحملته إليه في «الكنتننتال» فحبس نفسه عليه نصف نهار لم يبرح فيه الفندق. ثم رده إلي في المساء وهو يقول في سمته الرزين ومنطقه المتئد: «أشهد أن كتابك أول ما كتب عن العراق في صراحة ولباقة وإخلاص وصدق. ولقد طويت عني ما قلته فيّ، ولكنني بعد أن قرأت ما قلته في غيري أكاد أعرفه بالاستنتاج والحدس. ولعل من الخير لنا ولك أن تؤخر نشر القسم السياسي منه إلى حين. أما قسماه الأدبي والاجتماعي فستكثر حولهما الأحاديث، ولكنهما في الأدب والنقد والتاريخ نصر وفتح»

نزلت على رأي الصديق المعظم وعدت بالمخطوط الغالي إلى موضعه من المكتب. ثم أعلنت أني سأنشر بعض صوره الأدبية في «الرسالة»، وقد نشرت بالفعل منه فيها صورتين أو ثلاثاً رقّت لها الآذان وأصغت إليها الأفئدة

ولكن وا أسفاه! لم يعد للطفل الحبيب نفَس ينسم على نفسي ببرد الجنة، ولم يبق من الكتاب العزيز سطر يشعب فؤادي بذكرى العراق!

وا لهفتاه على ولدي الذي أبدعه الله، وعلى أخيه الذي أبدعته! جاءا معاً في الشتاء، فلم أجد لوجودهما برداً ولا عبوساً ولا كآبة؛ وذهبا معاً في الربيع، فلم أحس لفقدهما دفئاً ولا طلاقة ولا بهجة. أودى بهما القدر العابث خداعاً وغيلة، فسلب العين الكلوء ريبة الحذر، وجرد الدفاع اليقظ من فرصة الحيلة. دب للطفل الموت الوحيّ في وعكة خفيفة من البرد ظنها الطبيب زكاماً عارضاً فإذا هي الخناق القاتل. ومشى للكتاب القدر المحتوم في ركام من الورق المتروك فذهب به خلسة إلى النار المبيدة!

أخذت ذلك الكتاب ذات يوم من دزج المكتب لأختار منه فصلاً للرسالة، ثم جلست في البهو على كثبة بُعثرتْ فوقها وأمامها تجارب المجلة وأصول المقالات، فاخترت من المخطوط قطعة أدبية ثم ألقيته إلى جانبي، وأخذت أصحح (الملازم) وأطرح (الأصول) حتى فرغت من ملزمتين فدفعتهما إلى غلام المطبعة، وخرجت من البهو لا في يدي ولا في جيبي لأترك هذا الورق المهمل لخادم البيت تكنسه من هنا ومن هنا، ثم تطرحه على عادتها كل يوم في صندوق الكناسة، ويأتي الزبال فيأخذ ما تجمّع في الصندوق ويحمله على عادته كل يوم في زنبيله إلى المستوقد!

وهكذا قضى الله أن تذهب إلى العدم خلاصة العمر وعصارة الفكر في فترة ضائعة من فترات الغفلة! وهيهات أن يكون لهما في الحياة عوض، فإن الفلذة إذا اقتطعت من الجسم لا ترجع إليه ولا تتجدد فيه، وسحر المنظر الجديد لا يتكرر أثره في نفس زائره ومجتليه

* * *

حولت بصري عن الصفحة ثم أطرقته. ولجّ بي الإطراق والاستغراق حتى سقط الدفتر من يدي، وتلاشي الحاضر من نفسي، ووثب الماضي إلى خاطري، ووقفت أمام الفاجعتين وجهاً لوجه، فكأنما لبث الزمن واقفاً حيث كان، وظل الجرح نازفاً حيث طُعن، وبقي القلب واقداً حيث اشتعل؛ وكأنما أسلمني كل ضعف إلى الجزع، وخذلتني كل قوة حتى الإيمان!

تفصد جبيني بالعرق، ثم اخضل جفني بالدموع، فأخذت نفسي تثوب رويداً إليّ، وتحركت يدي في فتور فتناولت الدفتر ثم جعلت أصفحه، فعثرت في ثناياه على ورقة بالية من مسودات كتابي الفقيد؛ فنشرتها بين يدي ثم أقبلت على قراءتها لهيف القلب زائغ البصر فقرأت:

«... هذه القهوة الضّحيانة التي رقدت على صدر دجلة النابض، واستغرقت في الدفء والضوء والسكون، كانت أحب القهوات إلى القلب العميد والخيال الشاعر. كنت كثيراً ما أغشاها بُعيد الغداء فأجد جماعة أو جماعتين يلعبون الورق هنا، وفتى أو فتيين يتساقطان الحديث هناك، وبائع (الأبيض والبيض والسّنبا) يسرق خطاه بين هؤلاء وأولئك فيذكّر بندائه الخافت البطونَ التي شغلها عن طلب الطعام سكرة القمار أو نشوة المنادمة، فأجمل ظهري إلى أحلاس القهوة، ووجهي إلى وجه

[البقية في ذيل الصفحة التالية]

فكاهات الحرب

للأستاذ عباس محمود العقاد

الجد ضد الهزل والعبث، ولكنه ليس بضد للفكاهة وملكة السخرية، بل لعله يثيرها في النفس ويدعو إليهما

فأنت تستغرب استغراب الإنكار والازدراء إذا رأيت رجلاً يهزل ويعبث وهو يواجه الشدة ويقف في الموقف الذي يتطلب العمل والجهد والهمة، ولكنك لا تستغرب هذا الاستغراب إذا رأيته يواجه الشدائد وهو يستخف بها ويتخذ منها موضعاً للفكاهة والسخرية، بل تحمد منه هذه الفكاهة وتعدها ضرباً من القوة والشجاعة، لأن العبث بالجد يفسده ويضعف النفس عن احتماله؛ أما الفكاهة مع الجد فهي معوان عليه

ولا شك في أن سليقة الفكاهة مصرف للنفس الإنسانية وعصمة لها وحافز على النهوض بما يثقل عليها من أوقارها

ولهذا تروج النكات و «القفشات» في إبان الحروب والمصاعب. وتعد «النكتة» امتحاناً لطبائع الأمم وعقولها في هذه الأحوال، فلا تجفل من الخطب أمة تستطيع أن تواجهه وهي باسمة، ولا تبسم الأمة للخطب إلا وعندها قدرة على النهوض به والتصرف فيه

وسننقل في هذا المقال بعض الفكاهات التي أسفرت عنها الحرب الحاضرة، ثم نعقب عليها ببعض التعقيب الذي يخلق بطائفة من المصريين أن يلتفتوا إليه

* * *

تحدث الألمان والروس كثيراً بالحرب الخاطفة أو بضربة البرق العاجلة كما يسمونها Blitzkrieg ويعنون بها اكتساب النصر في معركة حاسمة سريعة

فزعم الراوية أن أنجليزياً يسأل صاحبه ما هي الضربة الخاطفة؟

فيجيبه الصاحب: إنها هي الضربة التي لا تقع مرتين في مكان واحد

فيصمت السائل قليلاً ثم يقول مصححاً!!... يخيل إليّ يا صاح أنها شيء أسرع من ذلك: يخيل إلي أنها هي الضربة التي لا تقع مرة واحدة في مكان واحد!

* * *

والمعروف عن مولوتوف الوزير الروسي أنه تمتام يتلعثم في كلامه. فذكره أحد السامعين له في المذياع لصديقه وهو يقول: أليس بعجيب أن يتكلم هذا التمتام أمس ربع ساعة ولا يتلعثم مرة واحدة؟

قال الصديق: كلا! لأنه كان يكذب!

* * *

ويعرف بعض القراء تمثال الحقيقة وهو على صورة فتاة رزان تحمل مصباحاً وتستقبل السماء بوجه وقور

فنشرت إحدى الصحف هذا التمثال منكساً وقد أخذ بقدميه على الجانبين كل من مولوتوف وجوبلز وهما يقولان:

هذه هي الحقيقة... أليست هي بعينها؟

* * *

واشتهر جورنج بحب الألقاب والأنواط حتى ما يكاد يرى إلا وعلى صدره صفوف منها يغيرها بين ساعة وساعة

فزعم الراوية أنه قد بات يخشى أن يأتي بعد اليوم بعمل مجيد يستحق من أجله نوطاً من أنواط الفخار

لأنه إذا استحق هذا النوط لم يجد لتعليقه إلا موضعاً واحداً من كسوته

وعندئذ لا يستطيع الجلوس على كرسيه

* * *

وقيل إنه مات فأصبح مستريحاً في قبره، لأنه يجب أن يشعر بشيء على صدره!

دجلة، وعيني إلى جسر مود، ثم أشاهد فلماً عجيب الألوان من الناس والأجناس والصور: فهذا قطيع من الغنم يعبر الجسر إلى المجزرة في حمى راعيه، وهو مستسلم لصوته ومنقاد لعصاه استسلام الأمة للطاغية يقودها إلى الحرب، وانقياد الخليقة للقدر يسوقها إلى الموت! وهذا الملك فيصل يعود من قصر العرش إلى قصر الزهور من غير حرس ولا جلبة، فيقف في غمرة الناس على فم الجسر ينتظر أن يعبر القطيع وراعيه! وهنالك تلاقى راع وراع، وتقابل قطيع وقطيع! ولكل إنسان في دنياه مملكة ينفذ فيها حكمه، ودائرة ينعقد عليها أفقه... » ثم حاولت أن أقرأ بقية الورقة الذابلة الحائلة فلم أستطع!

احمد حسن الزيات

وقيل إنه ذهب فى زيارة إلى مستشفى المجانين فبدا له أن واحداً منهم لم يكترث له ولم يتحرك لوجوده، فاقترب منه وسأله: ألا تعرفنى ؟

فأجاب المجنون : كلا !

قال : أنا هرمان جورنج

فظل المجنون على قلة اكتراثه كما كان قبل أن يتحدث إليه « الماريشال المعظم » وكأنما على وجهه علامة استفهام إلى جانب علامة الاستفهام الأولى

فعاد الماريشال المعظم يقول: هلم، هلم يا صاح ! كيف لا تعرف هرمان جورنج رئيس الوزارة البروسية ؟

فلم تنقص علامتا الاستفهام على وجه المجنون بل زادتا واحدة جديدة

ومضى الماريشال المعظم يقول : جورنج وزير الطيران !

والمجنون صامت ينظر

ثم يقول الماريشال المعظم : جورنج يا هذا رئيس مجلس الريشستاج !

والمجنون فى صمته وقلة اكتراثه

ثم يقول الماريشال المعظم : جورنج يا هذا ... جورنج ! ... ألا تعرف جورنج الصياد الأشهر ؟

عندئذ يتجاوز الأمر حد الاحتمال فى رأى المجنون ، فينصرف مشفقاً وهو يردد بين شفتيه :

مسكين !.. هكذا يبدأ الحال معنا جميعاً فى هذا المكان ...

* * *

ويعلم القراء أن ريبنتروب كان يتجر بالشمبانيا والخمور قبل ولايته الوزارة

فكتب أحد الناظمين تحت صورته : هذا هو ريبنتروب ، هذا هو صانع المعاهدات الآن وصانع الشمبانيا من قبل . ولكن لا يعلم أحد أيهما ينطلق فقاقيع فى قوارير ، وأيهما يسيح بغير صوت !

* * *

وصاح المذيع النازى فى إحدى الليالى بعد الإشارة إلى ما يقال عن نقض هتلر لمواثيقه :

زعيمنا يا قوم لم يتعود قط أن يكسر كلمة من كلماته

فنشرت صحيفة انجليزية هذه الإذاعة فى اليوم التالى وأضافت إليها هذه الكلمات: « نعم... لأن الكسر من خواص المادة نفسها »

* * *

وقال هتلر لجورنج عن عرض الصلح :

حسن ... إذن سأعرض بطاقاتى على المائدة

فأطرق جورنج قائلاً : ليتها بطاقات طعام !

* * *

وشاع بين الألمان أن هتلر لا يرى الحقيقة على جليتها فيما يجرى من شؤون الحرب والسياسة . فقال القائلون : نعم . يجب أن يتنحى جورنج قليلاً ! ...

* * *

وكتبت صحيفة فرنسية بعد غارات الشيوعيين أو الجنود الحمر على شواطئ البحر البلطى ، تسأل الجغرافيين : أيصبح البحر الأحمر ؟ !

* * *

وللرقيب نصيب واف من فكاهات الصحفيين الذين لا يشفع لديهم فيه أنه يجيز هذه الفكاهات

ومجتزئ منها بالأبيات التى كتبها ناظم هجاء على « ضريح الرقيب المجهول » قال :

« هنا رقد فى النهاية رقيب ثار عليه الصحفيون المحنقون فتم حشوا رصاصاً مثل رصاصه الذى لا ينفد . . . ولعله - والله أعلم - قد تنبه بعد الرقاد فر على اسمه بذلك القلم المعهود »

* * *

تلك نماذج متفرقة من « القفشات » الحربية التى تروج هذه الأيام فى البيئات الإنجليزية والفرنسية ، وهى كما يرى القارئ على نسق يوشك أن ينتظم فى سلك القفشات التى ألفناها من جماعة « أبناء البلد » فى هذه الديار ، لولا ما يلاحظ على أغلبها من قلة اللعب بالألفاظ وكثرة الاتجاه إلى اللباب

والطائفة التى نود أن تستخرج من هذه القفشات مغزاها الذى هى فى حاجة إليه هى طائفة « أبناء البلد » نفسها

لأن الذهن الذى تعودنا أن نسميه بالذهن « البلدى » مصاب بآفة تحجب عنه الكثير من حقائق الدنيا ، وهى آفة النظر إلى الأشياء على وجه واحد وصورة واحدة . فإذا ألف أن يقرئ الناس السلام بأسلوب متواتر وألفاظ محفوظة فمن الإخلال بالذوق عنده أن تبدل لفظاً من تلك التحية أو تجربها مرة واحدة على خلاف ذلك الأسلوب

وإذا ألف أن يسمع « القفش » والضحك فى مجلس من المجالس وعلى هيئة من الهيئات فليس فى وسعه أن يتخيل « تنكيتاً » يدور فى غير ذلك المجلس وعلى غير تلك الهيئة وبين أناس غير أولئك الناس

ولعل أكثرهم يفغر فاه من الدهش إذا قيل له إن الأوربيين « يدخلون قافية » كما يفغره دهشاً لو رأى خارقة من خوارق الطبيعة وانقلاباً فى أوضاع الحياة ، وسمع الخرس ينطقون والعجم يعربون

وإنها لآفة « ذهنية » لا ضير منها على الأمم التى يجهلونها ولا يفهمونها ، ولكن الضير الأكبر منها على من يُحرمون نعمة النظر الصحيح إلى حقائق الوجود

عباس محمود العقاد

تلك أيام خلت

للدكتور زكى مبارك

فى الكلمة الماضية دونتُ بعض ما ربحت وبعض ما خسرت؛ وسأقصر كلة اليوم على التنويه بأمور ينفعنى النظر فيها من وقت إلى وقت ، فإن صح أنى قليل الاعتبار بحوادث الأيام ، فقد يكون فى القراء من ينتفع بالعبرة التى يسوقها هذا الحديث . وآفة الأدب فى بلادنا أن الأدباء لا يتحدثون عن عيوبهم إلا قليلاً ، وهذا التحرز من سرد العيوب قد يوهم فريقاً من القراء بأن الأدباء تعصمهم مواهبهم من الوقوع فى الأغلاط والهفوات . ولو أنهم عرفوا أن الأديب يخطئ ويصيب كسائر الناس ، لأدركوا أن التفوق فى الأدب ميسور لكل من يتوجه إليه ، وهو مزوَّد بقوة العزيمة ، ورجاحة العقل ، وصدق الوجدان .

فما الذى فاتنى من الفوز والنصر فى السنة الماضية حتى أرجع على نفسى باللوم والتثريب ؟

أعتقد أنى ضيعت على قلمى فُرصاً لن تعود : كنت فى العام الماضى مرهف الإحساس ، ولكن قلمى لم يستفد من ذلك . والكاتب المخلص لفنه لا يترك عواطفه تتبخر وتضيع ، وإنما يسارع إلى الاستفادة من فَورتها ، فيكتب وهو مشبوب القلب ليستطيع السيطرة على القلوب ...

وما أقول : إنى انصرفت عن مصاولة الأزمات الوجدانية ، فقراء « الرسالة » يذكرون أنى كنت أواجههم بهذه الشؤون من حين إلى حين ، ولكنى أعترف بأنى ظلمت نفسى أقبح الظلم حين تغافلت عن تسجيل ما كان يثور فى صدرى من العواطف فى بعض الأحايين .

حدثنى الأستاذ الزيات قال : إن بعض القراء لا يستريحون إلى بعض ما نكتب فى الشؤون الوجدانية ، وإن من الخير لمن كان فى مثل مركزك أن يقف عند حدود الأدب الرزين !

و « بعض القراء » هم المشايخ الذين يسمُرون فى نادى « الرسالة » ، ليجادلوا الزيات فيما يباح وما لا يباح من المذاهب والآراء ، وفيهم من لا يرضى عن كاتب مثلى إلا إن شغل نفسه بشرح « دلائل الخيرات » !

والحق أنى راعيت رأى هذا الصديق بعض المراعاة ، والزيات صديقٌ أمين ، والانتفاع برأيه من أوجب الفروض ، ولكن كيف كانت العواقب ؟

أضعت على نفسى وعلى « الرسالة » فُرصاً لن تعود ... وهل أملك ردّ العواطف التى ثارت ثم خمدت فى تباريح السنة الماضية ؟

« تلك أيامٌ خلتْ » ، ولن يردّها أسفٌ ولا بكاء !

إذا صح أنى مفطور على إحساس الفرح والحزن فى الحياة ، وإذا صح أنى أقوى ما أكون حين أفرح أو حين أحزن ، فكيف يضيق صدر وطنى وزمنى عن سماع سَجعاتى وزفراتى ؟ وبأى حق يحرُم علىّ ما يباح للشعراء فى جميع البلاد ؟

وهل تصدّقون أن الناس يكرهون حقيقةً أن نحدثهم عن أزمات الأفئدة والقلوب ؟

وهل صَدَق الأستاذ فكرى أباظه حين حدّث الناس عن طريق المذياع باندهاشه من أن يسمع أغانى الهجر والوصل والدنيا فى حرب ؟

وهل تظنون أن هذا الخطيب يقضى أيام الحرب فى التخشّع والقنوت أمام المحراب ؟

الدنيا فى حرب ، وسيعقُب الحربَ سلامٌ بعد عام أو عامين ، ولكنكم تنسون أن الشاعر يعانى حرباً لا يصدّ شرها عنه غير الموت ، إن صح أن الموت يريح أرواح الشعراء من البلاء بالتفكير فى أسرار الوجود

وما الذي يوجب الخضوع للأفكار العاتية التي تتوهم أن الحرب تقدر على زلزلة السريرة الإنسانية ؟

الحرب تستطيع أن تصنع بالسريرة الإنسانية ما تصنع العواصف بأمواج المحيط ، فهي تُقلقل المنافع من وقت إلى وقت ، ولكنها تعجز عن اقتلاع ما في السرائر من جذور الحب والبغض والهدى والضلال

والشاعر ينظر إلى من حوله من الناس نظرات مختلفات : فيرى بكاءهم مرةً بكاء أطفال ، ويراه مرةً زئير أسود . فالطفل لا يذكر من الحرب غير تنقل « التسعيرة » من وضع إلى وضع ، ويكون مَثَله مَثَل الطباخ الذي انزعج لارتفاع أسعار القطن لأنه رأى ذلك نذيراً بارتفاع أسعار الزيت !

أما الرجل — والشاعر الحق هو الرجل الحق — فيرى أن الحرب لا تكون سيئة العواقب إلا إن استطاعت بفواجعها أن تقتلع من السريرة الإنسانية جذور الإحساس بمعاني الحياة . وهل في الحياة معانٍ أشرف وأفضل من الحرص والشره والطمع في انتهاب أطايب الوجود ؟

شغلتُ نفسي مرةً بتأريخ ملاهي الحي اللاتيني في باريس ، فجمعت أكثر من خمسين كتاباً تحدث مؤلفوها عن ملاهي ذلك الحيّ ، ثم راعني أن ألاحظ أن تلك المؤلفات كُتبت قبل الحرب العالمية ، فعرفت أن الباريسيين بعد تلك الحرب فقدوا شعورهم بتذوق الحياة فلم يعودوا يهتمون بتسجيل ما يصادفهم من النعيم في ذلك الحيّ البهيج

فإن استطاعت الحرب الحاضرة أن تشغلنا عن أحاديث الهجر والوصل فسيكون معنى ذلك أننا صرنا أطفالاً ضعافاً لا يهمهم من الدنيا غير اعتدال أسعار « اللّعب والصواريخ » !

أقول هذا وفي مكتبي مقال لم يسمح بنشره الأستاذ الزيات ، لأنه خشي أن يفتح لخصومي باب الأقاويل والأراجيف ، وهو مقال سجلت فيه إحساسي بفراغ شارع فؤاد من أقدام الملاح يوم تجربة الغارة الجوية . فهل من الحق أن الحرب رجّت مصر رجةً تذهب بما يملك شعراؤها من عواطف وأحاسيس ؟

وهل من الحق أن أهل مصر لم يعودوا يأنسون بغير حديث البقول ؟

أعترف بأني توجعتُ مرةً على صفحات الرسالة من غلاء الورق ، وذلك توجُّع مشرِّف ، لأن الأمة التي تشكو غلاء الورق هي الأمة التي تُعزّ الأفكار والعقول ، وكل شيء في دنيانا من الكماليات إلا الورق فهو عندنا من الضروريات ، والمصريّ المثقَّف قد يكتفي بالقليل من القوت ، ولكنه لا يستغني أبداً عن زاده من الحبر والورق

ونحن قومٌ آذتنا الظروف الدولية أقبح الإيذاء ، فليس لنا من السيطرة الاقتصادية أو الحربية ما للأمم الديمقراطية أو الدكتاتورية ، ولكن لنا مع ذلك سيطرة عقلية نصول بها في أقطار الشرق . ولو شئتُ لقلت إننا نملك من هداية الشرق ما لا يملك الانجليز والفرنسيس والألمان ، ولهذه الدولة الروحية سلطانٌ يحسدنا عليه من يملكون في تصريف السلم والحرب ما لا نملك ، فليس من العجيب أن نشكو غلاء الورق في زمن لا يشكو فيه المسيطرون غير غلاء القُوت

والشرق ينتظر أن نحدثه عن نفسه بما لا يعرف

فكيف يغيب عنا أن من الواجب أن نكون أفصح من يذيع في الشرق أحاديث السريرة الإنسانية ؟

استيقظوا ، أيها الغافلون ، واعلموا أنكم لن تكونوا شيئاً مذكوراً إلا إذا استطعتم أن تشغلوا الشرق عما في الغرب من ألحان وأغاريد

هل فكر واحد منكم فيما عرف الشرقيون من الآداب الفرنسية والإنجليزية ؟ وهل خطر في بالكم أن في الأقطار الهندية والأفغانية والإيرانية أقواماً يقرأون عن العقول الفرنسية والانجليزية أضعاف ما يقرأون عن العقول المصرية ؟ وهذا يقع مع أن مصر في هذا العهد تستطيع أن تكون قيثارة ترجِّع ألحان السماء لو تركت التزمت المقوت الذي يفرض التغاضي عن أحاديث القلب والوجدان

سألني أحد الأصدقاء منذ أيام عن الظروف التي ألفت فيها كتاب التصوف الإسلامي وهو يتوهم أنني لم أذق قطرة من رحيق التصوف ، فقلت : ذلك كتابٌ زكّيتُ به عن قلبي . فقال : وهل على القلب زكاة ؟

فقلت : آفة الآفات أن تظن أن الزكاة لا تجب على القلوب والأحاديث الوجدانية التي أهتف بها من حين إلى حين هي نفحة من نفحات التصوف ، فكيف يراها بعض القراء من مظاهر الفتون ؟ وكيف يرى صديقي الزيات أن نشرها يقوى حجة خصومي وأعدائي ؟

بل كيف استبحت ظلم نفسي فلم أهجر مجلة الرسالة لأتحدث عن فؤادي بما أشاء ؟

تلك أيامٌ خلَت ! فتى أرجع إلى مناجاة أوهامي وأحلامي ؟

إن الحديث عن الظواهر لا يحتاج إلى عبقرية ، أما الحديث عن ضمائر النفوس وسرائر القلوب فلا ينهض به غير أفذاذ الشعراء . فتى أجد آذاناً تطرب لأسجاع الروح المفتون بتهاويل الوجود ؟ ومتى أجد قلباً يسمع وسواس قلبي ؟ ومتى أجد روحاً يأنس بغناء روحي ؟

هل سمعتم بما صنعت وما تصنع مشيخة الأزهر ؟

هي تستعدي الحكومة المصرية على كل من يطبع كتاباً دينيًّا تقع فيه غلطة نحوية أو صرفية أو إملائية !

فهل علمتم في يقظة أو في حلم أن مشيخة الأزهر شغلت نفسها بطبع طائفة من الكتب الدينية ؟

كذلك يصنع معي خصومي وأعدائي ، فلا هم يؤدّون زكاة القلوب ، ولا هم يسكتون عمن يؤدي زكاة القلوب

زرت السيد آل كاشف الغطاء في النجف على غير معرفة فقال : من أيّ بلد قدمتَ أيها السيد ؟ فقلت : قدمت من وطن ابن الفارض . فقال : وطن الذي يقول :

كل من في حماك يهواك لكن أنا وحدي بكل من في حماكا

فقلت : بل وطن الذي يقول :

أنت ورد فَهَب محبَّك شوكا أترى الورد عاش من غير شوكِ

فإن كنتُ من الشوك فلا بأس ، فالورود لا تعيش إلا في حماية الأشواك ، والروح اللطيف لا يعيش إلا في قفص من الجسم الكثيف

وسمعت في الأيام الأخيرة أن إحدى المجلات تنوشني منذ أسابيع فرفضت الاطلاع على تلك المجلة لأني أخشى أن تروضني على الشراسة والحقد ، وأنا أحب مسالمة الناس لأفرغ لمحاربة قلبي ، القلب الجامح الذي يقهرني على الوفاء لأقوام لا يعرفون معنى الوفاء

ثم ماذا ؟ سأتحدث في الأسبوع المقبل عن لواعج وشجون يضيق عنها حديث اليوم

زكي مبارك

ذريـــنى ...!

للأستاذ كامل محمود حبيب

[« ... ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع ، ورأيت أكثر أهلها النساء » . قيل : بم يا رسول الله ؟ قال : « بكفرهن » . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : « يكفرن العشير ، ويكفرن الاحسان . لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منك شيئا ؛ قالت : ما رأيت منك خيراً قط »]

حديث شريف

ذرينى أطِر بين فلجات الأرض ومضلّات السماء ، أستشف بهاء الحياة وجمالها !

ذرينى أحطم الأغلال الثقال التى أرسف فيها ، لأفر من هذا السجن الأسود ، أتنسم روح الحياة والحرية !

ذرينى أتحلل من هذا العبء الفادح ، فلقد آدنى ، فما عدت أطيقه ! ...

ذرينى أر الدنيا، فلقد وجدت فقدها بين طيّات نفسى الوثّابة!

***

يا عجبا ! لقد جفّ قلبى وذوت سعادتى !

فهذا هو القمر يتألق فى السماء ، والأرض نائمة فى سكون ، وأنا أرمقه من خلال همومى ، فلا أحس فيه الجمال ولا المتعة ...

وتنفّس الفجر ، فما لمست فى نسماته النديّة بَرْدَ الراحة ولا نشوة اللذة ...

وافترّ ثغر المشرق عن ابتسامة الشمس ، وأنا ـ وحدى ـ جاثم على نشز لا أستبشر لبسماتها ...

وإن الروض ليضحك ، فما أرى فى ضحكاته سوى فنون من الكآبة والحزن ...

وإن الغدير ليعزف على قيثاره لحن الخلود الشجى ، فما تتطرب له نفسى ...

يا عجبا ! أفكل هذا لأنك — أيتها المرأة — إلى جانبى تنفثين فىّ روح الشر ؟

***

أيتها المرأة ، لطالما فوّقت إلى قلبى سهامك الراشة ، فاضطرم بالهوى وتلهب بالشوق. والآن ها هو ذا قد شاط بينها فما عاد قلباً، ولكن مضغة لا تتحرك .

ولطالما سهرتُ أناجيك — وأنتِ فى منأى عنى — والآن هدّنى الإعياء ؛ فذرينى أقذف بأعبائى جانباً ، لأتوسّد ذراعى على الحصا ، فى ظلال شجرة وارفة ، إلى جانب غدير ، تسكرنى نسمات الربيع الهينة ، فتستمتع نفسى بحنان الطبيعة وهدوء الكرى

ولطالما أوحى إلىّ شيطانى أنك أنت فوق البشرية ، أنك بسمة الخالق على الأرض الحزينة ، فماذا ... ماذا رأيتُ الآن ؟

ولطالما استلهمتُ منك جمال الفن ، ورسمتك بريشة الخيال فى أضعاف قلبى ، ثم لمستكِ ، فماذا ... ماذا وجدتُ ؟

***

أحقاً أنكِ أنتِ مادة الشاعر حين يتغنى بكلمات تتدفق النشوة واللذة من خلالها ؟

أحقاً أنكِ أنتِ ريشة المصور التى تعبث بالألوان فإذا هى حياة ؟

أحقاً أنكِ أنتِ لحن الموسيقى السماوى حين يُداعب أوتار قيثاره فتتحدث عن خلجات القلوب ؟

أحقاً أنكِ أنتِ لمة الحياة إن شمل الكون ظلام الموت ؟

كلا ... كلا ! إنه هو خيال الرجل يُضفيه عليك — حيناً بعد حين — فيبعث فيك الكبرياء البغيضة ، ويسمو بك إلى آفاقه هو ، فى حين أنك أنتِ ...

***

كان هـذا خيالى حين استهوتنى شياطينك فتمنيتُ ... ولما خبرتك فزعتُ عنك ، لا أطمع فى حديث ، ولا أرنو إلى لقيا

ليت هذا الرجل يعلم ... ليته يعلم أنك قد مرنتِ على الختل والخداع ، ودَربتِ على الشغب والمكيدة ، وأحببتِ نفسك فشغلتك فألهتك عن أن تكونى امرأة لرجل ، ونزت بك نزوات الكبرياء فذهبتِ تفزعين من أنوثتك الوضيمة ... ذهبت تفزعين منها لتكونى بدعاً فى الرجال !

إننى أفرق من جمالك وقبحك ، وأفزع من ابتساماتك

وعبراتك ، وأخاف رضاك وسُخطك ، وأجزع من عطفك ومقتك ، وأرهب صحبتك وفراقك ... فماذا ... ماذا بقى فيك أطمئن إليه ؟

هذه الدار الهادئة قد ملئت بك ضجة تحطم فيّ خواطرى الجميلة

وهذا القلب الشاب الندىّ قد استشعر الوهن حين مسحت بجمالك على شغافه

وهذه الحياة الوضاءة قد أظلمت حين أشرقتِ فى جنباتها

فذرينى ... ذرينى — أيتها المرأة — أفتش عن شباب قلبى !

* * *

ذرينى . . ذرينى ، يا شقاء القلب !

ولكن ، آه ، أين منك الخلاص ؟

إن شيطانك ما يفتأ يلاحقنى ، فإذا أعجزه أن يسيطر علىّ فى يقظتى ، تبدّى لى ، بين أحلامى ، فى زينته الجذابة

وهذا الجمال الذى تتقزّز منه نفسى لأنى أنفذ إلى حقيقته القبيحة ، يتراءى لى — فى منامى — فى صفاء قطرة الندى على الزهرة البيضاء النضيرة ، فيأسرنى رويداً رويداً

وهذه النظرات التى أرى من خلالها الدّغل والشر والرياء جميعاً ، تنفذ إلى قلب أحلامى فتستخرج أضغان صدرى

وهذا القد المضطرب المتكسر يهفو إلىّ فيما يرى النائم حلواً يميس فى خطرات النسيم بين رؤى نومى

وهذه المرأة التى أنبذها ، تسعى إلىّ — دائماً — حين يأخذ بنفسى الكرى ... تسعى إلى لتضمنى إليها ، خشية أن أفلت منها ومن متاعبها فى وقت معاً

ولكن ... ولكن ذرينى ، يا شقاء القلب !

* * *

آه ، لقد طرحتك ، أيتها المرأة ، فلا أحس بالعطف عليك ، وفررتُ منك فلا أحن إليك ، وصدفت عنك فلا أصبو إليك ، وطرت عنك فلا أسقط عليك ...

ولكن كيف ؟ وقلبى ما يزال يتصدع عن ثغرة يتوثب منها

النَّـــاى

هذه الأغنية منظومة على بحرين مختلفين رغبة فى تنويع مجرى النغم ، والبحر الأول وضعه الشاعر ، وأجزاؤه : فاعلاتن مفاعلتن (مرتين) ، وليكن اسمه : المنطلق . وأما البحر الثانى فمن البحور المعروفة .

جَنِّبوا النّاىَ عن أُذُنى أُذُنى زُلْزِلَتْ طَرَبا
مِثْلَ قَلْبٍ يُحَدِّثُهُ سِرُّهُ السَّرْدُ فاضطرَبا

أَوْتارُ الخاطرِ تَغمِزُها أَنّاتُ الناىِ فترتجِفُ
فيَضِجُّ الجنبُ بِأغنيةٍ حمراءَ قرارتُها التَّلَفُ

نَغَمٌ جاءَ يَفْتِكُ بى ذاعَ فى السّمعِ مُصطخِبا
مِثْلَ دَمْعٍ يُغالِبُنى دارَ فى العينِ مُلْتَهِبا

عطفاتُ الناىِ مُصَعَّدَةً فى الليلِ ضُلوعاً تنقصِفُ
صبَواتُ الرُّوحِ يُطَوِّحُها فى اليومِ العابسِ مُلْهَفُ

القاهرة ، مايو ١٩٣٤ — بشر فارس

الهوى والحنان ، لأن روح الأبوة تتأجج فى أعماق قلبى فتسلبنى الهدوء والاستقرار

فأين أجد ابنى؟ ... وهو جمال الحياة ، وبهجة القلب ، وفرحة النفس ، وزهرة الدار ، وشبابى اللمّاع حين يوشك أن يَنْبَتَّ حبل العمر ...

وا حسرتا ! إننى لن أجده إلا فيك ... فيك أنت أيتها البغيضة ! ويا بنى ، لست فى غنى عنك ، فأنا أجد فى نأيك فراغ الحياة ، وظلام العيش ، ووحشة الطريق ...

فتعال . . . تعال إلى — يا بنىّ — علّى أجد فيك صورة من طفولتى الجميلة المرحة ، أو أجد سعادتى المفقودة ... حين أجد ابنى !

كامل محمود حبيب

صفحة مجيدة من تاريخ المسرح المصري

عبد الرحمن رشـــدى

وأثره في تاريخ المسرح المصري

للأســتاذ زكي طليمات

نص الكلمة التي ألقاها الأستاذ زكي طليمات مفتش شئون التمثيل بوزارة المعارف في حفلة التأبين التي أقيمت بدار الأوبرا الملكية يوم ٤ فبراير سنة ٩٤٠ برياسة معالي وزير المعارف احياء لذكرى مرور أربعين يوما على وفاة الممثل الكبير الأستاذ عبد الرحمن رشدي المحامي .



في هذا المكان وعلى هذا المَمْثل، منذ نيف وسبعة وعشرين عاما خلت وقف شاب غض الأهاب ، فياض القوة ، في عينيه بريق ، وفي صوته فورة العزيمة وعناد التصميم ، تلطف نبراتها حلاوة الحلم الممتع . وقف هذا الشاب في ثياب الممثل يؤثر ويبهر ، نخط تاريخ التمثيل العربي الناشيء صفحة المجد الأولى ، وأشرق على المسرح المصري فجر وردي جديد

وقف هذا الشاب يمثل ، وارتفع الصوت الجهير في رنين أجراس الذهب ، فجاوبته صيحات مدوّية منكرة ، هي أشبه شيء بصوت انهيار الأنقاض وتصدع الجدران . ذلك لأن العرف المصري الجاري في ذلك الوقت أصيب في أعشاره ، وتصدعت منه دعامة قوية شامخة

هـذا الشاب هو (عبد الرحمن رشدي) الذي ترك حلبة المحكمة إلى خشبة المسرح ، ونضا عنه حُلّة المحامي ليلبس حُلّة الممثل ، وهجر عالم القضاء ودنيا الوظائف الحكومية إلى عالم التمثيل ومستراد المرئيات ومجال الوهم المجسم ، وزهد فيما كان ينتظره من شارات الشرف في عالم القضاء من أجل تيجان من الورق ، وأوسمة من الصفيح ، وسيوف من المدن الزائف ...

أتى كل هذا طائعاً مختاراً وهو في تمام عقله وكامل صحوه ، وافتدى صحو العيش بكدره ... وحياة المسرح في مصر أكدار ومآس . أتى ذلك لأن هاتفاً خفيا أهاب به في الساعة التي ترسم الأقدار فيها رجالها وتختارهم للقيام بأعظم الأحداث وجلائل الأمور

أجل أيها السادة ، كان احتراف عبد الرحمن رشدي التمثيل في ذلك العهد حَدَثاً من الأحداث الاجتماعية في مصر ولمـاذا ... ؟

كان المسرح المصري يرقى الدرج الأول من مرحلة جديدة . كان يحاول متطوحاً فيها أن يستخلص لذاتيته طابعاً جديا يمت إلى الفن الخالص من حيث فن التمثيل وإخراج الرواية ، بعد أن مهد له (سلامة حجازي) و (عزيز عيد) سبيل ذلك بقدر ما وسعه علمهما وسمح به زمانهما . وكان العاملون في المسرح رجالاً ونساء ، أخلاطاً سقيمة ممن خفت حولهم في التعلم والتهذيب والتثقيف ، ولا أقول من حسن الاستعداد وخصب الموهبة . وكانت كثرتهم الغالبة ، ماعدا النذر اليسير الذي لا يؤبه له ، ممن تقطعت بهم أسباب العيش عن طريق احتراف المهن المألوفة . وكان الجمهور من أجل ذلك يرمق المسرح المصري والمشتغلين فيه بعين ملؤها الازدراء والحذر ، إذ يرى فيهم قطيعاً من شذاذ المجتمع ، ونفايات الأوساط ، وقناصي الكسب السهل عن طريق حلق الشارب ، وتخطيط الوجه ، ورفع الصوت بالصياح والضجيج

في ذلك العهد جاء الأستاذ جورج أبيض من أوربا ، وشاءت إرادة سيد البلاد إذ ذاك أن يكون للأستاذ أبيض يد في ترقية المسرح ، فكان أن ألف فرقته العربية الأولى من أقرب ما بين تلك العناصر التي أجلت وصفها إلى شخصية الممثل الحق علماً وأدباً

وهنا جرت الأعجوبة إذ تقدم إلى الصف (عبد الرحمن رشدي) محطماً العرف الاجتماعي السائد ، في الأسرة وفي الحرفة التي ينتمي إليهما ، مضحياً بمركزه الاجتماعي وبكرامة الرجل الكامل . أقول هذا أيها السادة وأكرره وأؤكده لأنه كان يوجد من الممثلين قبيل ذلك العهد من يحترف كي الطرابيش وبيع الأشربة والمثلجات بالنهار ليحترف التمثيل بعد ذلك في الليل

ولا لوم ولا تثريب على فن التمثيل فى ذلك ، فقد أتى التمثيل مصر دخيلاً ، وفرض نفسه على المجتمع المصرى الذاهل كلون جديد من ألوان التسلية . والجديد الوافد من الحرف لا يلقى صدراً رحباً فى أول الأمر إلا ممن يعيشون على هامش بيئاتهم الاجتماعية ولا يعمل فيه غير من نبت بهم طرائق الكسب المألوفة ، أو من لم يحظوا منها بما يقوم بحاجاتهم

مضى الأمر واحترف عبد الرحمن التمثيل فكانت بداية ملحمة جديدة قوامها نزول شاب مثقف عامل مستكمل لمقومات شخصيته الاجتماعية الرفيعة إلى عالم ضئيل لا يصول فيه غير المكابر ، ولا تطول فيه غير قامة المشاغب والمداجى والمريض الصوت والمنكبين، عالم تحيط به الريب والشكوك، ويغلفه الكثير من سوء الظن ، نزل إليه عبد الرحمن بأقدام ثابتة ، يعمر قلبه عقيدة راسخة بأن المسرح كالمسجد يؤمر فيه بالمعروف وينهى عن المنكر

نزل وملء حواسه إيمان صادق بأن المسرح المصرى الناشئ لن يرقى ولن يؤدى رسالته فى التثقيف والتهذيب ، ما لم يتوله جماعة على قسط وافر من الثقافة والتهذيب ، وما لم يشرف عليه من يعيش له لا من يعيش منه ، وما لم يكلأه الكفيل الصالح

كان عبد الرحمن محامياً فى نظارة الأوقاف ، وكان يتقاضى مرتباً شهرياً ثابتاً قدره أربعة عشر جنيهاً ، فرضى أن يعمل ممثلاً بمرتب قدره اثنا عشر جنيها فى هيئة غير ثابتة فى فرقة تسير — كما سبقتها الفرق التى تقدمتها — مضطربة حائرة ، كسفينة هزيلة البناء فى بحر عجاج ، وفى هذا ما ينهض دليلاً على أنه لم يحترف التمثيل ليزداد مرتبه، أوليجمع مالاً عجز عن جمعه فى حرفة المحاماة

ومثل عبد الرحمن أدواراً سجلت مواهب المثل فى نسقها العالى ؛ ودوّى مجده دوياً أخذ على هواة التمثيل مشاعرهم ، فتحركت نفوسهم ، وتطلعوا وتطلع غيرهم ممن أخذوا يعرفون محاسن التمثيل على يد المحامى المثل ، وقامت فرقة جماعة أنصار التمثيل تعمل للفن برياسة المرحوم محمد عبد الرحيم الذى كان يشغل وظيفة أستاذ بالمدارس الثانوية

ولكن عبد الرحمن اضطر بعد شهور — ويا للعجب — أن يترك فرقة أبيض مرفوع الرأس ، لأن النزعة المادية كانت تغلب كثيراً نزعة الفن الخالص لدى بعض مديرى الفرق المصرية ، فتأذت نفسه من ذلك وفترت آماله ...

وعاد إلى المحاماة الحرة فى مكتب أنشأه بمدينة الفيوم لقى فيه نجاحاً كبيراً . وهكذا عاد النازح إلى بيته واستقر فيه ، وحسب الناس أن مغامرة عبد الرحمن فى احتراف التمثيل إنما كانت بدوة من بدوات النفس الفتية

* * *

يا للهاتف الغامض الذى ينادى النفس فتلبى النداء ، ويغلب القلبَ على الحجا والروية ؟ ؟

لم يمض زمن طويل حتى رأينا عبد الرحمن يعاود مغامرته الأولى بنفس الحماسة الأولى ويضحى بالربح الواسع الذى كان يدره عليه مكتبه بالفيوم . أنى كل هذا ناسياً ما جرته عليه مغامرته الأولى، ضارباً عرض الحائط بنصائح أصفيائه ممن راعهم أن المسرح المصرى ما برح غير جدير بالتضحية من جانب صفوة المتعلمين

ولكن الهاتف المجهول كان يسد مسامعه ، والقدر يدفعه إلى أن يستقيم على محتوم قضائه

عاد عبد الرحمن إلى العمل فى فرقة الأستاذ أبيض بعد أن انضم إلى فرقتها وجيه من وجهاء مصر ، وسليل بيت كبير من بيوتاتها ، وهو عمر سرى بك نجل المرحوم حسين سرى باشا ؛ وكاد وجيه آخر من طرازه ، وهو المرحوم محمد تيمور بك ، نجل المرحوم أحمد تيمور باشا ، وتشريفى حضرة صاحب العظمة حسين كامل سلطان مصر ، كاد أن يأتى نفس المغامرة ؛ وكدت بدورى، على الفارق البين، أن أركب نفس الطريق وأترك دراستى الثانوية فى مرحلتها الأخيرة ...

ومهما انتحلت للمرحوم تيمور ولنفسى من الأعذار التى حالت دون احتراف التمثيل فى ذلك العهد ، فلا أجد بدًّا من المصارحة فى هذا الموقف الذى أعطى فيه « ما لله لله ، وما لقيصر لقيصر » بأنى وتيمور كنا أوهن من عبد الرحمن عزماً وألين عوداً

* * *

وبدأ الدور الثانى من جهاد عبد الرحمن وبدأت معه الجميات التمثيلية مرحلة جديدة اتسمت بالجهاد الصادق وبوفرة عدد العاملين فى الجميات ، وجلهم من صفوة المتعلمين طلبة كانوا أو موظفين

ونضجت لعبد الرحمن طريقة فى التمثيل حاكاه فيها ضعاف الشخصية من الهواة والممثلين ، وتنبهت الأقلام المصرية إلى واجبها فقام الأستاذان إبراهيم رمزى ولطفى جمعة يدعوان إلى استقلال المسرح المصرى برواياته

أيها السادة :

يقولون إن التاريخ يعيد نفسه ... وما أصدق هـذا حتى فى أتفه الأمور !

لم يمض وقت طويل على عبد الرحمن فى هذه الفرقة حتى اضطر إلى تركها لأسباب لا يسمح المقام بذكرها ، ولكنها أسباب تشرف عبد الرحمن ، الرجل والممثل ، الذى لم يعمل فى التمثيل ليجمع المال من ورائه ، وليستثمره كما يستثمر التاجر اللهوف على الكسب متجراً انتهى إليه فى آخر الزمان !

ورجع عمر سرى بك إلى قصره العاجى ينفض عن أقدامه غبار طريق شائكة بعد أن ضاق ذرعاً بالفرقة وبنفسه ، وبقى عبد الرحمن واقفاً مثبتاً فى حلبة الجهاد رجله ، وليس لديه ما يدفع عنه غائلة الأيام ، بل وآلام الحاجة والضيق إلا قلب كبير يعمره الإيمان بالله ، وبالمبدأ ، وبالفكرة العاملة

أيتها الحاجة ، إنك قاسية !

أيها الجوع ، إنك كافر !

ولكن يشاء الله أن يسكب فى نفوس أصفيائه من البشر مايجملهم يزدرون بالمحن، فتراهم يدفعون الحاجة بالصبر، ويستعينون على الجوع بالكفاف من العيش .

وقف عبد الرحمن هذا الموقف الرائع ، فتجلى عناد التصميم وثبات العقيدة وجلال الرجولة فى أكمل معانيها .

كان فى وسعه أن يعود إلى المحاماة ، أو أن يلتحق بوظيفة حكومية تقيه شر ما يلق . كان سبيل الخلاص ممهداً أمامه ، ولكن عبد الرحمن أبى أن يفعل شيئاً من هذا ، لأن رسالته فى المسرح المصرى لم تكن قد تمت فصولها ، وصاحب الرسالة مجاهد وشهيد ، والشهداء يأبون إلا أن يكونوا شهداء وقد يكون خلاصهم بين أيديهم .

وسرعان ما انتهى دور الاستجمام والتفكير إلى دور الوثوب والعمل . فألف عبد الرحمن فرقة تمثيلية باسمه ، على نظام الحصص وهو نظام جديد ، يقضى بتوزيع قدر الدخل الوارد من إيراد الحفلات تبعاً لما خصّ به كل ممثل أو ممثلة .

فلا مرتبات ثابتة ، ولا أجور مقيدة .

كان تأليف هذه الفرقة حدثاً جديداً فى المسرح المصرى ، لأنها لم تتألف من أنقاض الفرق العاملة ، وإنما تألفت فى جملتها ولا سيما فى عنصر الرجال فيها من شباب جدد مثقفين ، ينتمون إلى بيئات اجتماعية لم تسخ بأبنائها على التمثيل ، جمعت الفرقة الجديدة الموظف الذى هجر وظيفته ، والطالب الذى قطع دراسته العالية أو الثانوية ، اجتمعوا كلهم فى صعيد واحد ، بعد أن أنضجتهم الهواية الصادقة بالعمل فى الجمعيات التمثيلية ، اجتمعوا بعد أن ترسموا طريق الفداء الذى شقه الزعيم المجاهد عبد الرحمن فضحى كل منهم بما كانت تعده لهم وظائفهم أو دراساتهم من مستقبل زاهر ، أقل مزاياه أنه مستقبل لا يسلم أصحابه إلى العيش من وراء مهنة مضطربة حائرة ، غرمها مضمون ، وغنمها مشكوك فيه ، تكابد إغفال الناس ، بل وازدراءهم .

على هذا النحو ، ألفت أول فرقة مصرية من عناصر نابهة ، فما لبثت أن أثبتت حسن اضطلاعها بمهمتها ، واستطاعت أن تشق طريقها ، وتركز أعلامها فى القطر، من الثغور إلى أقصى الصعيد، ورددت أرجاء هذه الدار نبرات حارة لأصوات فنية ، وصارت الفرقة بهيئتها ورئيسها رمزاً للتضحية فى سبيل المبدأ ، ومظهراً من مظاهر النهضة المصرية ، ووجهاً من وجوه اليقظة القومية

فى هذه الفرقة عمل الأساتذة سليمان نجيب مدير هذه الدار ، ومحمد عبد القدوس ، ومحمد فاضل ، ومحمد توفيق ، والمتكلم أمامكم ، عملوا ممثلين محترفين !

أيها السادة

حاذروا زوالاً إذا قيل تم الأمر وبلغ مداه . وحقق مقاصده!

بعد جهاد مستمر ، دام ثلاث سنوات وشهوراً ، اضطر عبد الرحمن أمام الأزمة الاقتصادية التى شملت العالم بأسره ، بعد انتهاء الحرب الماضية ، أن يفض الفرقة ، وأن يترك الميدان مغتدياً ذلة الخاضع بعزم المغلوب ، لأن الكساد الذى شمل سائر مرافق الحياة الاجتماعية بفعل تلك الأزمة ، كاد يفرض عليه فرضاً أن ينزل إلى مستوى السواد الأعظم من الجمهور، وأن يتملق رغباته، وكانت رغبات الجمهور فى ذلك العهد ، عهد الثورة المصرية ، متقلبة لا تستقر على حال ، ولا تعنى من التمثيل ، وهو لون من ألوان التسلية ، إلا بما هو سطحى وعابر ، لا يكد الذهن ولا يجهد الخاطر

حلت الفرقة ، ولكنها حققت الغرض الأول من قيامها ، وهو جعل المسرح فى ممثليه والقائمين عليه من الطبقة المثقفة التى اجتلبت حسن الظن بفن التمثيل

حلت الفرقة ، ولكن بعد أن جعلت من التمثيل العربى حقلاً جديداً للنشاط الذهنى من جانب طبقة من الناس ما كانت تأبه له قبل قيامها. وهكذا بدأ عهد إصلاح فى المسرح المصرى، وانفتح باب للتجديد فيه ، لم يلبث أن دخله الأستاذ (يوسف وهبى) ، نجل المرحوم عبد الله وهبى باشا ، ليأخذ المشعل من يد قائد الطليعة ، ويعمل للمسرح مجداً متفانياً فى جهاده ، مضحياً بثروته الشخصية ، وما آل إليه من مال أبيه الراحل

هذا هو مجد عبد الرحمن رشدى ، وبهذا يستقر اسمه فى رأس

قائمة أبطال الطليعة الذين عملوا للمسرح المصرى مخلصين للمبدأ

عاد الممثل ومدير الفرقة إلى المحاماة للمرة الثالثة ، ولكنه عاد إليها فى هذه المرة كسير القلب ، لأنه استيقن أن الزمان يضيق به وأن لا سبيل إلى فرض إرادة على هذا الزمان ، الذى يأخذ من المصلحين بقدر ما يريد ، لا بالقدر الذى يريدونه ويستطيعون تقديمه

وكان ينتابه حنين إلى المسرح ، وهو يجالد الأيام وتجالده ، فكتب له أحياناً ، وعمل عضواً عاملاً فى اللجان التى ألفتها الحكومة لترقية التمثيل ، وأذكر من مسرحياته :

(تحت العلم) ، و (البؤر المرخصة) ، و (المأمون)

وألفت الفرقة القومية بمال وزارة المعارف ، فلم يتوان عن تلبية النداء ، ورجع القائد والزعيم جندياً متواضعاً يعمل فى الصف بالإشارة ، ولا كبر ولا خيلاء !

أحبك يا عبد الرحمن فى تواضعك وسماحتك ، وأحنى الرأس إجلالاً لك ، قائداً كنت وزعيماً ، ومؤتمراً أصبحت وجندياً

ولم يطل مكث (عبد الرحمن) فى الفرقة القومية ، لأسباب خاصة ، فتركها فى نفس الوقت الذى زهدت فيه العمل فيها

وشاء القدر أن يجمع شملى وشمله للمرة الثالثة فى مكان واحد ، وأن نعمل لغرض واحد فى وزارة المعارف ، وهو تهيئة جيل جديد للتمثيل، يقبل عليه ويعمل له، إذا استطاع، مخلصاً ومجدداً

هذا هو بعض عبد الرحمن رشدى ، الذى اجتمعنا اليوم مختارين لتأبينه ، وتكريم ذكراه ، فيبكي كل واحد منا فى شخصه قطعة من ماضيه ، أو صفة من صفات الرجولة الباهرة ، أو سمة من سمات البطولة الحقة ، أو مظهراً من مظاهر الجهاد والتضحية

هذا هو عبد الرحمن رشدى الممثل فحسب ، وأتجاوز عن سائر نعوته وألقابه ، وقد كان المحامى القادر ، والموظف الكبير ، وابن البيت الكريم . أفعل هذا عامداً منزهواً ، لأن الممثل عبد الرحمن رشدى ، أكبر من كل هذا ، وأنبه ذكرا ، وأبعد أثراً من كل هؤلاء فى الدور الذى لعبه فى حياته ، لأن الممثل عبد الرحمن رشدى ، واحد فى نسجه ، منفرد بما آل إليه أمره ، وما استقام عليه بمحتوم قضائه

وهأنذا أختم كلمتى بالهتاف لهذا القائد الذى سقط فى حومة الجهاد ، وسيفه فى يمينه ، بعد أن أفرغتُ كلمتى هذه فى سمع الزمان الواعى ، وهى كلمة تتسم بوفاء التابع الأمين ، وخبرة الصديق ، وصراحة الفنان .

أقف بعد ذلك صامتاً ، وأمسك عامداً عن استنزال شآبيب الرحمة على البطل الراحل ، كما تجرى بذلك تقاليد البيان فى هذا المقام ، لأن هذا البطل الحر الطليق ، كان يمقت التقاليد ؛ وكانت حياته حرباً على التقاليد ، ولأن العناية الإلهية التى رسمته مجاهداً ، وجبلته مصلحاً ومغامراً ، أجل وأرفع من أن يتطاول عليها بالنداء والتنبيه صوت مصدره شخصى الضعيف الحزين

بل إن هذه العناية الإلهية الرحيمة ، قد شملته منذ أن حان حينه ، وتهيأ للقاء الرفيق الأعلى ، فعجلت نقلته من هذه الدنيا ، ومضى عنها ما بين غمضة عين وانتباهتها . وكأنى بها نفست به على المرض الطويل ، وضنت به على تجارب الأطباء . وعبث المرضين ، وعصمته من عذاب دونه كل عذاب ، وهو صمت الجسد المتداعى عن إجابة الروح القوى ، والنفس الوثاب

أعود فأقول : إننى لا أفعل هذا ، لأن عبد الرحمن رشدى مبعوث عناية ، ورجل أقدار ، ونفس من أنفاس الرحمن الرحيم .

زكى طليمات

كبرياء . . .

للدكتور ابراهيم ناجى

نِداؤكَ يا فؤادُ . كفى نداء ... عفاءٌ نضرةَ الدنيا عفاء

رُوَيدك أيها الجانى ، كلانا ... لصاحبه وما يدرى أساء

أنا ظمآنُ لم يلمع سرابٌ ... على الصحراء إلا خِلْتُ ماء !

وأنتَ فراش ليلٍ كلُّ نور ... تبِعتَ وكلُّ برقٍ قد أضاء

عشقتُ فاشدَوْتُ الشعرشعراً ... ولكن اعتصرتُ لكِ الدماء

فإن أكُ فى هواك أضعتُ قلبى ... فلست أُضيعُ فيك دمى هباء

غرامك كان محراب المصلى ... كأنى قد بَلغْتُ بك السماء

خلعتُ الآدمية فيه عنى ... ولكن ما خلعتُ به الإباء

فلم أسجد بساحته رياء ... ولا كالعبدِ ذُلا وانحناء

ولكنى عشقتك عشقَ حُرٍ ... يموت متى أراد وكيف شاء . . .

ناجى

الفروق السيكلوجية
بين الأفراد
للأستاذ عبد العزيز عبد المجيد

أشرت فى المقالة السابقة إلى التجارب التى أجراها مونستربرج لاختيار سائقى الترام والسيارات وعاملات التليفون وإلى المقاييس التى وضعها لمعرفة الأفراد الصالحين للمهن المختلفة . وإنه لمن الإنصاف التاريخى ألا نترك موضوع « اللياقة المهنية » من غير أن نذكر كلمة عن الدكتور فرانك بارسونز أحد موظفى « إدارة الخدمة الاجتماعية » فى بوستن بأمريكا .

كان ذلك فى سنة ١٩٠٨ حينما جمع الدكتور بارسونز التلاميذ الذين أتموا التعليم الأولى فى الحى الذى يقطنه والأحياء المجاورة، وكانت الغاية من هذا الاجتماع أن يبحث مع هؤلاء المراهقين أمر مستقبلهم ، ونوع المهن التى يريدون احترافها ، ولِمَ يؤثرون مهنة على غيرها ، وما هى الصفات الشخصية والكفايات الفردية التى يتقدم بها كل منهم للمهنة التى يختارها . وما كان أشد عجبه حين ظهر له أن هؤلاء المراهقين لم يعرفوا شيئاً عن الحياة العملية التى يواجهونها ، ولا السبب فى تفضيل نوع من العمل على غيره، وما الذى تتطلبه كل مهنة من المؤهلات الجسمية والقدرة العقلية والخلقية . ولقد استطاع بارسونز أن يسدى لهم نصائح فردية ، وأن يوجه كلا منهم إلى الناحية التى تتفق ومواهبه الشخصية ومعلوماته . وكان هذا الاجتماع التاريخى النواة الأولى لتكوين « مكتب الإرشاد المهنى[١] » الذى افتتح فى نفس العام[٢] . وقد أسرع إلى هذا المكتب البنون والبنات بعد إتمام الدراسة الأولية للاستشارة ، ومعرفة أنسب الحرف لهم ولهن . ولقد كان الدكتور بارسونز موهوباً القدرة على معرفة خواص الأفراد ، ومزاياهم العقلية والخلقية والجسمية ، واختيار ما يناسب كل فرد من عمل . ولذلك صادف مشروعه هذا نجاحاً وإقبالاً

(١) فضلت استعمال عبارة « مكتب الارشاد المهنى » على عبارة « مكتب المتعلمين المتعطلين » الذى تضمه الآن وزارة الشئون الاجتماعية ، فيا حبذا لو استبدلت العبارة الأولى بالثانية فى مصر

(٢) وقد افتتح أيضاً فى العام نفسه « مكتب الارشاد المهنى » فى إدنبرج باسكتلندا ، وكان أول مكتب من نوعه فى الجزائر البريطانية

لم تكن نصائح بارسونز مبنية على اختبارات ومقاييس علمية ولكنها كانت نتيجة لفكرة يكونها عن طالب التوظف بعد سؤاله عدة أسئلة عن ماضيه وحاضره واستعداده ونوع دراسته وآماله[١] وقد شعر بارسونز بنقص طريقته هذه فوضع نظاماً أحكم ذا ثلاثة عناصر أساسية : العنصر الأول درس كل مهنة من المهن الممكنة ومعرفة نوع العمل فيها ، وظروف هذه المهنة الاقتصادية والصحية والاجتماعية والفنية ، وبذلك يعرف الطالب أو الطالبة فى وضوح ما تتطلبه المهنة من الممتهن ومستقبلها . والعنصر الثانى أن يكون على صلة بنظار المدارس ومدرسيها ، وأن يخبرهم بنتائج أبحاثه ودراساته الفنية المهنية ، ويطلب إليهم ملاحظة التلاميذ أثناء الدراسة وكتابة تقريرات عن تحصيلهم ونشاطهم المدرسى ، واستعدادهم الفردى وميولهم ، والناحية الممتازة فى الفرد، حتى يرجع إلى هذه التقريرات عند الحاجة . والعنصر الثالث أن يصلح من الطريقة التى كانت متبعة باستقبال طالبى المهن ووضع أسئلة عامة لهم ، حتى يستطيع بالطريقة الجديدة أن يجمع أكثر ما يمكن من معلومات منظمة عنهم

كان أثر هذه الحركة أن تنبهت مجالس التعليم المختلفة وجمعياته فى الولايات والمدن الأمريكية لدراسة مشكلة اللياقة المهنية ، والخصائص السيكلوجية للأفراد ، فعقدت المؤتمرات ، وأسست مكاتب الإرشاد المهنى ، وعين مستشارون مهنيون Vocational Counselors لزيارة المدارس — كما يزورها الأطباء — ولإبداء رأيهم فى صلاحية من أنهوا دراستهم من التلاميذ لأنواع المهن المختلفة ، كما نشطت المدارس ، والمؤسسات العلمية ، والمعامل والشركات، والجمعيات، لإمداد مكاتب الإرشاد المهنى، والمستشارين المهنيين بالمعلومات التى يحتاجون إليها ، وكثرت هذه المعلومات وازدادت . وغدا المستشارون يسدون نصائحهم مبنية على الاجتهاد والتجربة من غير أن يقوموا باختبارات لقياس الذكاء ، أو الاستعداد الخاص ، أو الصفات الفردية الأخرى ، فكانوا ينصحون ضعاف الرئة مثلاً ألا يشتغلوا فى المعامل التجارية ، أو المصانع ذات الهواء الرطب أو كثير البخار ، ولا يشجعون على التوظف فى الشركات ذات المستقبل الغامض . وهكذا ابتعدت هذه المكاتب عن الغرض السيكلوجى الذى أنشئت من أجله ، وأصبحت « مكاتب استخدام » . وقد اعترف المستشارون بذلك ،

(١) تسمى هذه الطريقة The impressionistic method

وكانت حجتهم أنه لم تظهر بعد المقاييس السيكولوجية المقننة لمعرفة الفروق الفردية وحتى يمكن الحكم على صلاحية نوع معين من الأفراد لنوع معين من المهن

وضع پارسونز مجموعة من الأسئلة لاختبار طالبي المهن ، استطاع بها أن يكشف عن عادات المختبَر وميوله وتجاربه ، ومن بين هذه الأسئلة ما يأتي :

هل تصرفاتك هادئة أو هائجة ، حكيمة متواضعة أو ترمى للإعلان عن النفس ؟

إذا كنت مع جماعة فهل تفكر فى راحتهم وتعمل عليها ؟

هل ابتسامتك طبيعية وبسهولة أو متكلفة ؟

هل أنت صريح فى رأيك ، شفيق فى معاملاتك ، حريص على اختيار أقوالك وأفعالك ؟

هل تخيلاتك وأفكارك طبيعية ومتواضعة ، أو اعتدائية ، أو مغرورة ، أو منشائمة ، أو ثائرة ؟

ما مقدار درجة انتباهك للشىء إذا كانت الدرجة القصوى الممكنة للانتباه هى مائة ؟ ودرجة ملاحظتك ، ودرجة ذاكرتك ، ودرجة تعقلك ، ودرجة تخيلك ، ودرجة إدراكك ، ودرجة رد فعلك (الرجع) للبيئة الطارئة ، ودرجة قدرتك التحليلية للظروف ، ودرجة تفكيرك الإنتاجى Construective chinking؟

هل تستطيع أن تخلق علاقات طيبة بسرعة مع من تتصل بهم ؟

هل إرادتك قوية أو ضعيفة ، مترددة أو عنيدة ؟

أتتمتع بوجودك فى المجتمعات ، وهل يسر الناسَ وجودهم معك ؟

وكثير غير هذه الأسئلة[1]

وربما كانت هذه الأسئلة مفيدة عملياً لو أن الإجابة كانت عنها صحيحة مبنية على علم المختبَر بنفسه وميوله وعاداته . وإلا فمن من القراء يستطيع أن يجيب عن كل هذه الأسئلة بدقة وهو مقتنع بصحة الإجابة ؟ وما دامت الإجابة موضع شك فما يبنى عليها أيضاً من النتائج موضع شك . وإذاً فطريق الأسئلة هذا لا يمكن الحكم به على خصائص الأفراد وشخصياتهم ، ولا أن تكشف عن الفروق السيكولوجية بينهم

(١) انظر كتاب « اختيار المهنة » Choosing a Vocation لمؤلفه الدكتور فرانك پارسونز

وتسمى طريقة استخدام الأسئلة فى الدراسات النفسية والإجابة عنها طريقة « التأمل الباطنى » Introspection ، وهى طريقة لها عيوبها الكثيرة ، ومن بينها أنها ليست موضوعية محضة objective ولكنها ذاتية شخصية خاضعة لعواطف الشخص وأهوائه وذاته وحالته النفسية لحظة الاختبار Subjective والعلوم إنما تعتمد فى بحوثها ونتائجها على الطريقة الأولى لا الثانية

وبعد فقد عرضنا حتى الآن تاريخ الفروق السيكولوجية بين الأفراد عرضاً عاماً ، وتطورات الاختبارات والمقاييس التى وضعت حتى أول القرن الحاضر . غير أن علم النفس بفروعه المختلفة قد نهج خلال الخمس والعشرين سنة الماضية منهجاً علمياً أكثر دقة ، فى الطريقة ، وفى إحصاء النتائج . كذلك درست خصائص الأفراد العقلية والجسمية والخلقية والمزاجية ، كلُّ طائفة منها على حدة ، ووضعت لها مقاييس تختلف كثيراً أو قليلاً من إقليم لإقليم ، وقُنِّنَ بعض هذه المقاييس

ويمكن حصر أنواع هذه المقاييس التى استخدمت لمعرفة الفروق السيكولوجية بين الأفراد فيما يأتى :

(١) مقاييس الذكاء العام . ويقاس بها الذكاء العام للأفراد[1]

(٢) مقاييس الذكاء الخاص . وتقاس بها المواهب العقلية الوراثية الخاصة ، كالموهبة الموسيقية والموهبة الرياضية

(٣) مقاييس الأمزجة والخلق . وهى تقيس عواطف الأفراد ونزعاتهم الخلقية للاجرام أو الإصلاح

(٤) مقاييس التحصيل المدرسى أو البيئى اللغوى والعلمى

(٥) المقاييس المهنية المحضة

وسنعالج كل مجموعة من هذه المقاييس فى مقالات قادمة إن شاء الله .

(بخت الرضا . السودان) **عبد العزيز عبد المجيد**

(١) نظرية الأستاذ سيرمان السائدة الآن هي أن الذكاء ينقسم الى نوعين : ذكاء عام ، وذكاء خاص

الأدب الفنلنـــــدي

للأستاذ صديق شيبوب

بينما كان الشاعر « لياس لونرو » يعنى بجمع قصائد كاليفالا وضم أجزائها ، وإنشاء لحمة بينها لتتألف منها ملحمة وطنية قديمة قام شاعر آخر ينظم ملحمة وطنية عصرية يتغنى فيها ببطولة الفنلنديين فى العصور الحديثة ، وكان اسم هذا الشاعر « جوهان لودنيج أونبرج » Johan Ludvig Runeberg

ولد أونبرج سنة ١٨٠٤ وتوفى سنة ١٨٧٧ ، ودرس الطب وامتهنه واشتغل بالأدب والشعر . وفى شبابه وجه عنايته إلى درس أخلاق مواطنيه فى كثير من العطف ، ثم كتب فى ذلك رسالة طويلة كما تناول مظاهر هذه الأخلاق فى الأقاصيص المديدة التى كتبها بعد ذلك . وهذا ما جعله فى طليعة الأدباء الذين عملوا على إنشاء الأدب القومى الفنلندى بالرغم من استعماله اللغة الأسوجية فيما كتب ونظم ، لأنه عرف كيف يصف روح مواطنيه وكيف يعبر عنها تعبيراً صادقاً . وقد تجلت هذه الميزة خاصة فى كتابه : « أقاصيص حامل الراية » Les récits de l'enseigne Stahl

كان الشعر أبرز ما فى أدب هذا الطبيب ، وله قصائد يعدها النقاد الأسوجيون والفنلنديون من خير ما نظم فى هذين البلدين ، وهم يقررون أن أحسن شعره ما جمعه فى كتابه الذى ذكرناه : « أقاصيص حامل الراية » ، وهو فى جزأين ، ظهر الأول منها سنة ١٨٤٨ ، والثانى سنة ١٨٦٠ .

تتألف هاتان المجموعتان الشعريتان من أقاصيص رواها على لسان جندى قديم اشترك فى الحرب التى اضطرت أسوج فى نهايتها إلى التنازل عن فنلندا لروسيا فوصف معاركها وقص أنباءها ، وسجل أخبارها . وقد كان من الجرأة بمكان عظيم أن يختار الشاعر موضوعاً لملحمة وطنية حرباً ختمت بالانكسار والخذلان؛ ولكن التاريخ كان قد سبق الشاعر فدوّن الأخطاء التى وقعت فيها قيادة الجيش وحلها مسؤولية الانحدار ووصمها بالجبن والخيانة.

فقائد الجيش الأعلى لم يصدر غير أوامر تقضى بالارتداد والتراجع ، وسلم قائد آخر حصن « سيفبورج » الحصين من غير قتال . بينما ناضل الجنود المشهورون ببسالتهم وصبرهم على الأهوال نضال المستميت فأنقذوا شرف الجندية ولكنهم لم يستطيعوا أن يفوزوا وينتصروا .

وقد حمل « رونبرج » فى شعره على قائد الجيش وفضح خيانته ، ومما قاله فيه : « ليغفل ذكر أصله وسلالته حتى لا يتحملوا وزر جرمه ، ليحمل وحده عاره ، لأنه وحده جدير بالازدراء . ليس لمن خان وطنه أصل ولا سلالة ، ليس له ولد ولا والد . »

على أن شجاعة الجنود المقاتلين كانت كافية لتوحى للشاعر قصائده الحماسية التى تغنى فيها ببسالة مواطنيه . وقد قص فى شعر رائع أخبار المعارك الصغيرة التى ظهرت فيها بطولتهم والتى تمكنوا فيها من التغلب على الجيش المهاجم فردوه مندحراً . وعنى الشاعر خاصة بأعمال البطولة الفردية التى تجلت فيها المزايا التى تتحلى بها روح الشعب الفنلندى

وصف الشاعر الجيش وتحدث فى أكثر من أقصوصة عن العلاقات الوثيقة التى استحكمت بين صغار القواد والجنود . وقد أجاد كل الإجادة ووصل إلى أبعد الغايات عند تناول وصف الجنود من طبقة الفلاحين . هذا « ستين دوفا » Sten Dufva الذى كان يظنه رفاقه معتوهاً ، ولكنه استطاع منفرداً أن يدافع عن أحد الجسور وأن يدفع عنه العدو حتى جاءت نجدة تمكنت من رده .

وهذا « مونتر » Munter الجندى الباسل الذى كانت شجاعته تنبعث من أعماق نفسه فى كثير من السذاجة والتواضع . وقد مات صريعاً فى ساحة القتال بانفجار قذيفة رماها أحد جنود الأعداء فتلقاها «مونتر» بيده ليردها إليه . وقد رثاه «رونبرج» فى ختام قصته بقوله : « لقد كان فنلندياً »

ويطول بنا الحديث إذا شئنا عرض صور البطولة المختلفة الأشكال والأوضاع التى رسمها الشاعر فى هذين الديوانين ، وقد

كان طبيعياً أن يستهل « رونبرج » الجزء الأول منهما بقصيدة حماسية فى تمجيد وطنه والإشادة بذكره ، ننقل منها بعض شعرها للدلالة عليها . قال :

بلادنا ، بلادنا ، وطننا ،
دوِّ عالياً أيها الاسم المحبوب ،
لا يوجد فى بلاد الشمال رواب ترتفع نحو السماء
ولا أودية تنخفض ، ولا شواطئ تغمرها الأمواج ،
أحب إلى القلوب من بلادنا
من أرض آبائنا

***

من يستطيع أن يحصى عدد المعارك
التى خاض غمارها هذا الشعب ،
عند ما كانت الحرب تستعر فى واد بعد واد ،
عند ما كان يحل البرد القاسى حاملاً معه الجوع المضنى
من يستطيع أن يحصر الدماء التى أراقها
وأن يصور شدة صبره على احتمال الأهوال

هذه هى « أقاصيص حامل الراية » التى يعتبرها الأسوجيون كأجمل ما كتب بلغتهم . وقد أخذ عليها بعضهم أن ناظمها تحرر فى بعض الأحيان من نصوص التاريخ فلم يحترمها ، بينما يرى البعض الآخر أن هذا النقد لا يحط من قيمتها لأن « رونبرج » إذا تجاوز ما قرره التاريخ فإنه لم يتعد الحقيقة فكان صادقاً فى الصور التى رسمها والوصف الذى أجراه لنفسية الشعب الفنلندى وأخلاقه ومزاياه

(البحث صلة) صديق شيبوب

هكذا تكلم هتـــلر !

[هذه القصيدة مترجمة من الانكليزية ، وهي تنطوي على دعاوى هتلر وأمانيه ، منقولة على لسانه في تهكم لاذع]

طيب القلبَ ، محبٌّ الـ   خير للناس ، أراني
فلماذا صار كل   الناس يرتابون مني ؟
كل فصل لي يسو   ء الناس بل ودّوا لو اني
مقعدٌ ، لم أسدِ ما أسدَ   يت عن طيبة قلب

***

يتبع الألمان ما أو   حي بتفكير ولبس
بحماس حولَ التف   وا ، تخطى كل حدس
كلهم عاد بهديي   ملَكا في ثوب إنسي
كان هذا بعض ما أسد   يت عن طيبة قلب

***

همت بالسويد فاز   شم إلى الحب الحبيب
وهفت برلين واستنـ   شد « غوبلز » الخطيب
وهوى (كورنك) تقبيـ   لاً على « روبنتروب »
فعلوا إذ فعلوا ذ   لك عن طيبة قلب

***

أنا حررت بلاد التشـ   يك من حكم غشوم
وعليهم لم أزل أسـ   هر كالأم الرؤوم
منفقاً ما ادخروا بالـ   أمس من مال عقيم
كان هذا بعض ما أسد   يت عن طيبة قلب

***

عدت بالنمسا فأضحت   تحت ظلي تستفيء
و - كما قد حدثوني -   بنبوغي تستفيء
وهي ذي في قبضة الجسـ   تابو كالجدي البريء
تلك مني منّة تفـ   صح عن طيبة قلبي

***

أسعد الحظ « السلو   فاك » فشاءوني خليلا
صرت أحميهم وأرمي   ملكهم كيلا يدولا
وعليهم أسبغ الجود   ولا أبغي بديلا
كان هذا بعض ما أسد   يت عن طيبة قلب

***

عمت الفوضى بيو   هيميا فتاقت لاحتلالي
وغدت « محمية » تنـ   عم في أحسن حال
وهي ذي اليوم « بفضـ   لي » مضربٌ للاعتقال
تلك مني منة تفـ   صح عن طيبة قلبي

***

ساءني تسويف « بولنـ   دا » بتسليم الممرّ
فشننت الحربَ لم   تبق عليها أو تذر
ويح قلبي ، كلما أذ   كر « بولندا » انكسر
غير أني قد شننت الـ   حرب عن طيبة قلب

***

عند إغراق « أثينا »   ساور البعض الهموم
فأتهم ما قاله من   قبل «صولون» الحكيم :
« يسعد المرء إذا ما   ت ويحظى بالنعيم »
فبإغراق لهـا أفـ   صحت عن طيبة قلبي

***

أكره النازي فما استـ   ملته في غزواتي
وكذا الحرب، فإن أحر   قتُ أطفال العداة
ولئن أغرقت من أسـ   طولهم بالعشرات
فأنا أفعل ما أفعل   عن طيبة قلب

***

لجَّ قلبي ببلاد الـ   أرض حباً واستمر
وتمنى ضمها فيـ   ـه وإشباع الوطر
أنا موهوب ، بوسعي   حكم مجموع البشر
وسأمضي لاحتمال الـ   عبء عن طيبة قلب

« بغداد »   (رسول)

الأدب في سير أعلامه

بيرون

ذلك العبقري المتمرد الذي غنى أروع أناشيد الحرية، ولاقى الموت في سبيل الحرية

للأستاذ محمود الخفيف



أرسل جورج بيرون إلى مدرسة صغيرة في أبردين وهو دون الخامسة ، ولكن أمه لم تطمئن إلى تعليمه فيها فعهدت إلى أستاذين بتعليمه في المنزل إلى جانب المدرسة وقد حبب إليه أحدهما التاريخ وعلى الأخص تاريخ الرومان، فراح يقرأ منه في غير ملل، وعلمه الآخر اللاتينية ، بينما أخذ يوحي إليه مبادئه الكلفنية ، والطفل يستمع إليه في ذلك مندهشاً متحيراً يتساءل في صمت كيف يقدر الشقاء على قوم قبل مولدهم، وما جريرتهم حتى يشقون وأي فرق بينهم وبين الذين قدرت عليهم السعادة ؟ ويستمع الصبي إلى مثل هذا في حديثه مع خادمته ماري ، حينما يسألها وهي تتلو الإنجيل قائلاً : وما ذنب قابيل قبل أن يقتل أخاه ؟ ويضيق حين تجيبه أنه قدر عليه الشقاء ، فيقول في غضب: وكيف يسأل عن جريمته إذاً ؟ على أنه يطرب للغة الإنجيل وإن لم يفهم أكثرها ويهتز قلبه لما يتخيله عقله الصغير من صوره

والصبي قوي الخيال يصور له خياله كل شيء ويلازمه ما يتخيل أينما ذهب ، وكانت صورة الشيطان الذي طالما حدثته عنه ماري تتملك لبه وتصحبه في الغداة والمشي ، فإذا ترك في مخدعه وحده نفت النوم عن عينيه صورة الشيطان حتى لتمتلئ الغرفة حوله بالأشباح ، وإذا أطل من نافذته وجد المقبرة القريبة منه ملأى بالشياطين من كل هيئة ومن كل طول وهي تتماثب وتتراقص

ويستمع الصبي أيضاً إلى أحاديث أمه وخادمته عن أجداده لأمه وأجداده لأبيه وكيف قرنت بالشر أيامهم فيعزو ذلك إلى أنه قد قدر عليهم الشقاء من قبل فكانوا من حزب الشيطان كما كان قابيل من حزب الشيطان ، ويخاف الصبي أشد الخوف أن يكون نصيبه من الحياة مثل نصيب هؤلاء وهو يرى من أثر الشيطان في خلق أمه ما يرى ثم يرى منه في نفسه ذلك العرج الذي ازداد ألمه منه حينما بلغ السابعة

ويعرف الصبي في المدرسة بحدة ذكائه بقدر ما يعرف بإهماله وانصرافه عن دروسه ، ويسمع منه معلموه عبارات يبدو بها أكبر من سنه ويدهشهم منه قراءته الخارجية التي لن يبلغ نصيبه منها عشرة من أقرانه مجتمعين ، وكان شغفه بالشرق عظيما فقرأ قصص ألف ليلة وليلة وألم بقدر كبير من تاريخ أمم الشرق ، وفي مقدمتهم الترك ، وكانت أمه على قصر ذات يدها لا تضن عليه بما يطلب من الكتب ، فكان يعد ذلك منها أكبر حسناتها إن كان ثمة لها غير هذه من الحسنات

وعرف شاعر الغد بحدة عاطفته وتمرده على القوانين والأوضاع الرتيبة ، وعرف كذلك باستعداده للنضال والهجوم إذا استفزه إلى ذلك أحد. عاد إلى منزله ذات يوم يلهث وفي وجهه آثار معركة، فأجاب على تساؤل خادمته عن هذا بأنه تربص بغلام كان أهانه فتوعده حتى وقع عليه في الطريق فأذاقه من بطشه وأتم حديثه قائلاً : « وكيف لا أنفذ ما توعدته به ؟ ألست بيروني النسب » ؟

واستقرت في أعماق نفسه الصغيرة مناظر اسكتلندرة برواسيها الشامخات التي تجلل رؤوسها الثلوج وتعلو بعض قممها على السحاب، وكانت هذه الأجرام الهائلة تهز نفسه وتستميله أكثر مما تفعل

الزهور والرياض وأشباهها من مناظر الطبيعة الهادئة الوديعة ...

وتفتح قلب الصبي للحب وهو في الثامنة ، فقد رأى في إحدى جولاته مع أمه ابنة أحد الفلاحين فأحبها حتى ما يطيق أن يفارقها؛ ولما فارقها على رغمه كانت تجيش نفسه وهو في تلك السن بمعاني الوجد والحنين . . . على أنه ما لبث وهو في التاسعة أن هام بابنة عم له هياماً استأثر بلبه ، فما ينكر إلا فيها وما يرى حسناً يقاس إلى حسنها ، وإنه ليحس إذا جالسها بما يملأ قلبه من معاني الوداعة واللين واللطف حتى لينسى عنفه وحدته أتم النسيان ، ولا يزعجه إلا خجله من عرجه ، وكم يتمنى أن لم تكن له تلك العاهة التي يعظم خجله منها أمام ابنة عمه ماري أكثر مما يعظم تلقاء غيرها من الناس ...

وكانت أمه توقن في قرارة نفسها أن ابنها سيكون رجلاً عظيماً في غده . ولعل مرد ذلك إلى ماتتمناه الأمهات عادة لأبنائهن، ولعل مرده إلى ما أخذته من عرافة ريفية نبأتها بما سيكون له من خطر في غده . وها هي ذي الأيام توشك أن تحقق جانباً من نبوءة العرافة ، فلقد كان للورد الخامس في الأسرة وهو شقيق جده حفيد هو الذي يرث اللقب من بعده فمات هذا الحفيد عام ١٧٩٤ فلم يبق بين الطفل واللقب إلا أن يموت ذلك اللورد الشيخ ، وما لبث أن مات ذلك الشيخ بعد ذلك بنحو أربعة أعوام ، فانتقل لقب الأسرة الوراثي إلى الطفل وهو في العاشرة . وفرحت أمه أشد الفرح ولكن الطفل يتجه إلى المرآة ويسأل أمه عما إذا كانت ترى فيه فرقاً بين يومه أمسه لأنه لا يرى شيئاً من ذلك .

ولكن هذا اللقب سوف يكون عظيم الأثر في حياة شاعر الغد وموقف المجتمع منه ، إذ سيكون من أهم ما توافى له من أسباب الإعجاب به وذهاب صيته في الأوساط جميعاً

وتأهبت أمه لتذهب به من أبردين إلى حيث يتسلم ما ورثه مع لقبه الجديد من ثروة ، وكان الصبي يومئذ في سنته الحادية عشرة ، ولقد عز عليه أن يغادر أبردين فيبتعد عن ابنة عمه ماري التي أحبها ذلك الحب الشديد وعن مناظر اسكتلندرة ، ويحرم مما بانت توحيه إليه شواهقها ووديانها، تلك الشواهق التي ألف تسلق جوانبها على الرغم من عاهته والتي زلت قدماه على سفح من سفوحها ذات يوم حتى أشرف على الموت لولا أن تداركه بعض من كان معه ، فلم يزده ذلك إلا تعلقاً بها وإقداماً على معاودة تسلقها

ورحلت الأم وولدها وخادمتهما ، وأحس الصبي أنه ينتزع نفسه من ملاعب طفولته انتزاعاً ، ولقد استقرت في نفسه مناظرها وطيوفها ، وما أعظم ما سيكون لهاتيك الطيوف في غد من الأثر في شعره وخياله

وانتهى بهم السير في نيوستد وحطوا رحالهم في مهد الأسرة المتين، في ذلك القصر الذي أفنت جدره المتيدة السنين الطوال. ولشد ما أحبه الصبي وآنس في هيكله وأبهائه وحجراته أحلاماً جديدة أضافها إلى سالف أحلامه ... وأقبل على الخدم يسألهم عما تقع عليه عيناه وعلى الأخص عن تلك الصور المعلقة على الجدران ... فهذه صورة اللورد التعس الذي ورث عنه الصبي ما ورث ، وتلك صورة أحد أجداده الذي أبلى أحسن البلاء في الحروب الصليبية ومات في الأرض المقدسة ، وهذه . . . وهذه... والصبي معجب بذلك كله إعجاباً شديداً وإنه ليزهى أشد الزهو بأنه اللورد الجديد الذي آل إليه ذلك القصر وما فيه جميعاً .

وغرس الصبي بيده شجرة هناك لتكون ذكرى له

على أن ذلك القصر لم يعد يصلح للسكنى بسبب ما أصابه من التخريب أيام ذلك اللورد التعس ، ولم يك لدى أم الصبي ما يتطلبه إصلاحه من المال ، ولذلك لم تلبث أن تركته وابنها إلى مدينة نوتنجهام . . . واعتلج في نفس اللورد الصغير الألم لفراق قصره السحري ، الذي أمل أن يتسلى به عن ماري دف وقد شف قلبه الوجد لبعده عنها . ولقد كان عجباً أن يحبها مثل هذا الحب في التاسعة وأن يأسى على فراقها هذا الأسى وهو بعد لم يتجاوز الحادية عشرة ، ويذهب بعض علماء النفس إلى أن مثل هذه العاطفة الباكرة بشير بنبوغ صاحبها غداً في مجال الفن ؛ ويروى عن دانتي أحد شعراء الدنيا الأفذاذ أن قلبه النض نبض بحب بياتريس وهو لا يزال في التاسعة من عمره .

(يتبع) الخفيف

الأدب في أسبوع

أسواق النخاسة

ما زلت أضحك إبْلى كلما نظرَت   إلى من اختضبتْ أخفافها بدم !
أسيرُها بين أصنام أشاهِدُها   ولا أشاهِدُ فيها عِفَّةَ الصنم

هكذا يقول المتنبي فى صفة أصحاب السلطان الأدبى والسياسى من أهل عصره ، ولا يزال هذا ينطبق إلى اليوم على البلاد الشرقية والعربية إلا قليلاً قليلا. لقد أذكرتنى أشياء رَمَتْ إلى ـ ما كنت أسوس النفس على تناسيه ونبذه والتباعد عنه ، ولكن صناعة الأدب هى من بين الصناعات أشدُّها التحاماً بالحياة ... لا ، بل بالأصول النفسية التى تقوم عليها وبها أسواق المجتمع الإنسانى ، وهى ترمى بالأديب فى تنور متسعِّر من نزاع الغرائز والشهوات والأحقاد ، وهو بين اثنتين : إما أن ينحط فى هوى غرائزه التى تثيرها هذه النار الآكلة ، فيفسد بفسادها ، وإما أن يتحصن دونها ، فيروض غرائزه الوحشية ، حتى تألفَ وتنقاد لحكم العقل النبيل والعواطف السامية . فكذلك يوطن نفسه على الحرمان والألم والتفرد والوحشة ... ثم على الصراع الذى لا رحمةَ فيه ولا هوادة بين تضرُّم النزغات المستبيحة ، وبين زهادةِ النفس المتورعة المطمئنة . وكان أحق الناس بالتسامى ومطاولة الغرائز فى هذه الحرب الموقدة ـ الأدباء ، فالأدب فى أصله تنزيهٌ للنفس وكبحٌ من جماحها ، ورفق فى سياستها ؛ فإذا انقلب الأدب تضرية للوحوش الرابضة فى الدم من الطبائع والغرائز ، خرَجَ عن أصله وفقدت ألفاظه معانيها ، وصارت أسواق الأدب تعتمد فى معاملتها على البغى والظلم والعدوان والتهجم والاستبداد . وفقدت كل معانى الحرية والعدل والإنصاف والتمييز بين الخبيث والطيب ، وهى أصول الفطرة الأدبية السامية .

إن الأديب الحر ينتفض تقزُّزاً واشمئزازاً كلما انبعثت روح حقارة المجتمع من وراء الزِّمم الأخلاقية المموَّهة بالنفاق ، والتى أقيمت عليها أصنام منصوبة للعظمة الباطلة الجوفاء ، وهو أشد انتفاضاً وانتقاضاً حين يرى ببصره إلى الأدب والعلم وهذه المعانى السامية فيرى الأدباء والعلماء أذلاَّء مستعبدين قد خضعت أعناقهم للحاجة والضرورة والبؤس، فهم نواكس الأبصار إلى الأرض بين يدى فئة منهم قد أخذوا عليهم أفواه الطرق المؤدية إلى بعض الرزق ، حين واتاهم القدر ببعض السلطان والجاه والسيطرة ؛ وأقامتهم الشهرة الذائعة أنصاباً تهوى إليها الأغراض ، وتناط بها الوسائل ، وتعتمد عليها الحكومات فى تقدير العلم والأدب وأهلهما والعاملين عليهما ، وكذلك لا يستطيع أديب أو عالم أو فيلسوف أن يجتاز إلا بإجازة من أيديهم وبأختامهم ، وإلا أن يشهدوا له شهادة التقدير ، وأن يعبُروا له السِّعر فى «تسعيرة» السوق الأدبى الذى أقامتهم الحظوظ عليه حكّاماً ومقوِّمين

إن الشهرة والشهادة هما شيئان لا قيمة لهما فى العلم والأدب فبناء العلم على نجاح التجربة واستواء المنطق وإقرار العقل ، وبناء الأدب على صدق الإحساس وحدة الإدراك وسمو العاطفة وقوة الحشد وبراعة العبارة والأداء . فإذا لم تكن الشهرة من هذا تستفيض ومنه تَشرع ، فما غناؤها على صاحبها إلا بعض الأباطيل التى تنفش فى عقول الأمم الضعيفة والأجيال المستعبدة بالأوهام والتهاويل . والشهادة ما هى إلا إجازة الدولة لأحد من الناس أنه قد تحرَّر من طلب العلم والأدب على القيود التى تتقيد بها المدارس والجامعات فى أنواع بعينها من الكلام ، وأنه قد حصل فى ورقة الامتحان ما فُرض عليه تحصيله بالذاكرة ، ثم ترفع الشهادة يدها عن معرفة ما وراء هذا التحصيل وما بعده وما يصير إليه من الإهمال أو النسيان أو الضعف أو الفساد . فحين يغادر أحدهم الجامعة حاملاً شهادته مندمجاً فى زحمة الجماعة تفقد الشهادة سلطانها الحكومى — أو هكذا يجب أن يكون — ولا يبقى سلطان إلا للرجل وأين يقع هو من العلم أو الأدب أو الفن ؟ وهل أصاب أو أخطأ ؟ وهل أجاد أو أساء ؟ وهكذا فهو لا ينظر إليه إلا مغسولاً غسلاً من «مكياج» الدبلوم والليسنس والماجستير والدكتوراه ... وما إليها ، وإذن ، فأولى ألا ينظر إليه عن شهادة قوم لم يكن سبيلهم إلى التحكم فى أسواق العلم والأدب إلا الشهادات المستحدثة ، والشهرة النابغة على حين فترة وضعف واختلاط وجهل كان فى الأمة حين كان أقل العلم وأشفُّ الأدب يرفعان صاحبهما درجات من التقدير والإجلال والكرامة

إن هذه التجارة التى تقوم على استعباد العلم والعلماء والأدب

والأدباء تجارة باغية ينبغي أن تفنى نخاستها وأن تغلق أسواقها ، وينبغي أن يتحرر الأدباء والعلماء المستعبدون قليلاً من أغلال الضرورات المستحكمة ليحاربوا بني هذه التجارة بالنبل والسمو والترفع ، وليهتكوا تلك الأستار الحريرية الرفيعة المسدلة على بيوت الأوثان الجاهلية التي تستعبد الأحرار باستغلال ضراعة الضرورة والحاجة والفقر ؛ ينبغي . . .

وينبغي لكاتب هذا الباب الجديد في « الرسالة » أن يرفع القلم عند هذا القدر الآن ، ويعود إليه بالتفصيل والبيان فيما يستقبل

معهد الصحراء بيت الحكمة

كتب صديقي « اسماعيل مظهر » — في مقتطف يناير سنة ١٩٤٠ — كلمة بليغة يصف فيها « رهين المحبسين » ، محبس الصحراء ، ومَحْبس النسيان ، وهو معهد الصحراء القائم على مشارف الصحراء المترامية ، في « مصر الجديدة » ، وقد شيده « الأسد المصريُّ » الملك فؤاد رحمة الله عليه من ماله خاصة ، ليكون مأوى للعلماء الذين يدرسون طبائع الصحراء ومعادنها وأجواءها ، ولكنه لم يتم بناؤه لما عرض من مرض الملك العالم ثم وفاته على شدة الحاجة إلى جرأته وإخلاصه وعزمه ، وإنفاذ هذا العزم بالبصيرة والحكمة والمثابرة

وكنت كما صحبت أخي « اسماعيل » لبعض الرياضة ، تهاوينا إلى البيداء القفرة الصامتة بأحزانها الحائرة ، وسرنا نتقاود في جوفها فترمى بنا أرجلنا إلى بناء شامخ قد أقعى على ربوة من الأرض كأنما يتجمع للوثبة ، ومع ذلك فما كاد أجد في سمى بيان هذا الأعجم الصموت، وهو يُهمهِم بأنّاته من ذلّ الوحشة والأسر والنسيان والخراب ، فأنشد « إسماعيل » قول الرضيّ :

ولقد رأيتُ « بديرِ هندٍ » منزلاً
ألماً من الضَّرّاء والحدثانِ
أغضى كمستمعِ الهوانِ ، تغيّبَتْ
أنصارُهُ وخلا من الأعوانِ

وكان هذا البناء السكين همة من همم الملك النبيل رحمه الله. ولقد سمعت أنه قد أحاطه بما يزيد على عشرة أفدنة ليقوم فيها ، وفي متنزهاتها ، وليؤدي أهله إلى صحراء مصر المجهولة حقها من الدرس والكشف والاستنباط

هذا ، وقد ضرعَ « إسماعيل » إلى خليفة « فؤاد » في ملكه وعلمه وعزمه وبصيرته ، إلى « الفاروق » صاحب مصر الأعلى وحاميها وهاديها إلى الخير ، أن يُتمّ ما بدأ الملك الأول من البناء ، وأن يعيد للملكة الزاهر تاريخ العرب والعربية في عصر المأمون الذي أنشأ « بيت الحكمة » ، وجعله مستقر النقلة من العلماء الذين استوعبوا نقل حكمة « يونان » إلى اللسان العربي ؛ فأسسوا للعلم ملكاً لم يطاوله في العصور إلا عظمة المأمون ... قال :

« ومعهد الصحراء — يا مولاي — عظيم متسع الأرجاء اتساع العقل الخالد الذي فكر في إنشائه ، فهل نطمع في أن يضم إليه بضعة علماء يقفون جهودهم على ترجمة علوم أوربا إلى اللغة العربية ؟ وفي مصر — يا مولاي — علماء أقعدهم النسيان عن العمل ومنعهم الخجل عن السؤال ، وعزّ عليهم أن يهينوا العلمَ باستجداء العطف. أنطمعُ — يا مولاي — أن تفيضَ عليهم من فضلك الواسع ما يسدُّ حاجتهم من حطام الدنيا ، ليكونوا نواة لبيت الحكمة في عهدك ، فيتركوا للأجيال القادمة آثاراً لا يبزها من حيث الأثر في العالم العربي إلاّ عظمتك ، ولا يفوقها في الجلالة إلاّ جلالتك ؟ »

وكل أديب وعالم ومفكر في العالم العربي يضم صوته إلى صوت « إسماعيل » في هذه الضراعة النبيلة إلى « وارث مُلك مصر ، ومجد العرب » ، ويستيقن في قلبه أن « الفاروق » سيحمي العلم والأدب بحماية ملكية ترفع عنه الظلم والاستعباد ، وتحرر العلماء والأدباء من غطرسة الأدعياء المتشدقين بقليل العلم ومنقوص الأدب ، مما أطاقوه وحاوه بفضل الرحلة إلى أوربا بضع سنين ، تزودوا فيها بالمباشرة والمخالطة — لا بالدرس والمثابرة — بعض ما جهله أصحاب الفضل والعلم والأدب من قومهم لقعودهم بالضرورة والعجز عن مثل الذي ساروا إليه ، وهم بالعلم والأدب أقوم ، وعليه أحرص ، وطبائعهم إليه أشد انبعاثاً

الشباب والسياسة

في يوم الخميس السالف (٤ يناير سنة ١٩٤٠) ألقى بهي الدين بركات باشا محاضرة عظيمة القدر درس فيها معنى « السياسة » وحق « الشباب » في المساهمة في أصولها وفروعها ، ودافع عن حرية الشاب في أن يهتم « بالعمل العام الذي يتصل في وقت من الأوقات بتسيير دفة الحكم في البلاد » . وهذا هو تعريف السياسة عنده ؛ وبذلك يخرج منها النزاع الحزبي الذي شهدته السياسة المصرية خاصة ، على وجه من التنابذ والتعادي والتسفيه والاعتداء على حرية الفرد وحرية الجماعة . فإذا أخرج هذا الضرب من معنى السياسة أوجب العقل أن يكون لكل أحد الحق في أن يشارك أصحاب الرأي في آرائهم ، بل إن الشعور بالحرية

الفطرية توجب عليه أن يشارك بالرأي وأن يُضحّي في سبيل المبدأ الوطني العام الذي لا تقوم الدولة إلا بقيام معانيه في أعمال الأفراد والجماعات، وقد ناقش المحاضر جماعة من الأساتذة ولكنهم في مناقشتهم كانوا لا يزالون متأثرين بالمعنى (المصريّ القديم) للسياسة، وغفلوا عن الغرض الذي رمت إليه محاضرة المحاضر في الفصل بين ما كان وما يجب أن يكون عليه معنى السياسة؛ وكيف يشارك الشباب فيها بالرأي والعمل. والسياسة – كما قال عزام بك في موقفه – لا يمكن أن تكون بحثاً فلسفياً مجرداً، لأن الإيمان بعقيدة ما يقتضي التضحية في سبيل الدفاع عنها، فإذا كانت السياسة عملاً قومياً يراد به المصلحة العامة ومجد الوطن، فهي أمر يستحق كل تضحية. وأما إذا صارت السياسة إلى المعنى الذي شهدناه في مصر من الخلاف الحزبي على مطامع الحكم فهي أمر لا يستحق أنفه التضحية

ونحن نعتقد أن الإنسان الحر لا يعرف معنى لهذا السؤال القديم: «هل ينبغي أن يشتغل الشاب بالسياسة أو لا ينبغي؟» فهو سؤال عليه سيماء الذل والعبودية! إن كل أحد في مصر وغيرها من بلاد العالم – شاباً أو شيخاً غنياً أو فقيراً – عليه دين للأرض التي تغذوه وتموله وتؤويه وتحميه وتحفظ له نسله جيلاً بعد جيل، وأداء هذا الدين لا يكون إلا عملاً في حفظها وحياطتها والمدافعة عنها بالسلاح والعلم والعمل والفكر والنفس، فإذا أخل أحد بشيء من ذلك خان أمانة هذا الدين وأسقط مروءته

وكيف يمكن أن يمتنع الشاب أو الطالب عن الاشتغال بالسياسة؟ أيمتنع عن قراءة الصحف والكتب لئلا يعرض له الفكر في ذلك والتمييز بين صوابه وخطئه والعمل على بيان مواضع الخطأ ومعاونة الصواب على الاستمرار؟ أم يقرأ أخبار الأمم وأحداثها فإذا أقبل على أمر بلاده طوى الصحيفة واستغفر؟ أم يقرأ ويقرأ ولا يكون إلا كالخزانة، يُلقى فيها ما يلقى ليحفظ ويصان من لصوص الفكر التي يطلقها عقله في آثارها؟ أم يقرأ ويفكر، ثم يحبس آراءه بين جدران الجمجمة إلى أن يذهب بها الإهمال؟ وكذلك تضعف النفس وتصدأ وتتآكل، لأن الإيمان والعمل بأمره هما جلاء النفس وصقلها لتبقى أبداً مشرقة.

إن الشاب – ولابد – مشتغل بالفكر في السياسة، ونصرة مذاهب الحق فيها – كما هو – مشتغل بالعلم والأدب والفن؛ ولكن الإشكال كله في انفساخ القوة الخلقية التي يجب أن يقوم عليها العلم والأدب والفن والسياسة، وكل عمل؛ فتربية الخلق أولاً، ثم ارموا – بالشباب – حيث شئتم: فإنهم عصام الشعب، وهم ذادة الوطن، وهم أصحاب المستقبل

المرأة والرجل

لشد ما اجترأت المرأة في هذا العصر!! وإذا أخذت المرأة أسلحتها – من الزينة والتطرية والجمال والفتنة، وجيّشت غرائزها – من الحذر والحيلة والضعف والإغراء، لم يبق للرجل إلا أن يستقتل أو يفر... وقد أقامت «وزارة الشؤون الاجتماعية» مناظرة بين الأستاذ «محمد فريد أبو حديد» والسيدة «زاهية مرزوق» وكان غرضها هو «كيف ننهض بالأسرة؟». والظاهر أن السيدة الكريمة قد اعتقدت في قلبها معنى «حرية المرأة» بالإصرار والتعصب فأخذت تنتزع رجولة الرجل شيئاً فشيئاً حتى يتخيل لسامعها أنه مخلوق وحشي منطلق من كل قيود النبل، فهو عندها أناني لا يؤثر على نفسه، وهو معنى متجسم للفوضى في بيت الأبوة والأمومة، وهو جاهل متحامل على ضعف المرأة لا يرحمها ولا يحس بآلامها، وهو فاجر متوقح يستجر الأخطاء ويجنيها ثم يرمي المرأة بها وينسلّ منها

وأنا لا أريد الآن أن أدافع عن الرجل، ولكني أريد أن أسأل السيدة الكريمة ومن يذهب مذهبها من النساء: إذا كانت هذه صفة الرجل في أنفسكن، وإذا تحدثتن بمثله فبلغ الأسماع في بيوت العقائل، فوقع في آذان الأم والزوجة، والفتاة الجاهلة الطياشة، فاعتقدنه ومالت إليه أهواؤهن، فبأي عين تنظر المرأة إلى زوجها والفتاة إلى خاطبها؟ وأي معاملة يلقاها الرجل بعدُ على أيديهن وبألسنتهن؟

كلا يا سيدتي، إن المرأة هي تجني أكثر الذنب فيما نعلم، ثم تنتصل، وهي كل الأنانية إلا أن يتصل أمرها ذلك بمصدر الأمومة في غرائزها، فهي عندئذ مثال الإيثار والتضحية، ... وهي صاحبة الفضائل كلها إذا أثيرت أمومتها وإحساسها بالمحافظة على النوع الإنساني؛ وأما بغير ذلك، فهي المرأة بضعفها وأنوثتها وحاجتها إلى عون الرجل وتضحيته ورحمته. وليس للمرأة عمل إلا أن تعمل دائماً على أن تجمل الرجل في عينيها تمام إنسانيتها، وبذلك تستصلح منه ما عسى أن يكون فاسداً، وتتم ما وقع إليها ناقصاً، ويبنى البيت – بينهما – على أساس من القوة الداعية للبقاء، فمن الرجل الرحمة والإخلاص، ومن المرأة الاحترام والعفاف، ومنهما النسل الجيل المحفوف بالفضيلة من جميع نواحيه.

أبو العباس السفاح

لم تتسع كلمة هذا الأسبوع لتحقيق لقب السفاح أبي العباس عبد الله بن محمد أمير المؤمنين، فأرجأنا ذلك إلى العدد القادم.

محمود محمد شاكر



دراسات في الفن

هشت . . . !

للأستاذ عزيز أحمد فهمي

— هشت !

— ... ما قلة الحياء هذه ؟ أنداء هذا تناديني به في الشارع ؟

— وماذا أيضاً في هذا النداء يغضبك ؟ إنه النداء الذي كان لا بد أن تلبيه . وقد لبيته

— ومن أين جاءك هذا التأكيد ؟ هل جاءك أني تسميت أخيراً « هشت » ؟ أليس لي اسم تناديني به ؟

— ومن أين جاءك هذا الاسم ؟

— سماني به أبي ... ثقلت عليك الثواقل ... ألست تعرف أن لي اسماً ؟

— أعرف أنهم يطلقون عليك لفظاً يعلمونك به بين سائر الناس ، وأعرف أيضاً أنك رضيت بهذا الاسم وسكت عنه ولم تعارضني فيه ، ولكنني لا أذكر أنك أخذت رأيي في هذا الاسم وفي مدى صلاحه لك ، وفي قيمة المؤثرات التي أنتجته ، وفي تحديد ما كان من هذه المؤثرات طبيعياً ، وما كان منها مصطنعاً متكلفاً ...

— يا دين النبي ! أتريد أن نعقد المفاوضات في هذا كله ، ثم نتفق على هذا كله قبل أن تناديني باسمي ؟ من يدريك أننا قد نقضي العمر في هذه المناقشات قبل أن نتفق على اسم كل منا ، فإذا فرغنا من هذا كنا قد أفرغنا قوانا فيه فلا نستطيع بعد ذلك أن نتحدث في موضوع ما ، فإذا اجتمعنا بعد ذلك قلت لك وأنا ألهث من متاعب اسمي واسمك : تشرفنا يا من الله أعلم باسمك ، فتقول لي : « حفظتم » ، ومن يدري فلعلك تسألني : « ومن أين جاءك أننا تشرفنا » ؟

— هو هذا . فالاسم إذا لم يكن تعبيراً صادقاً عن المسمى كان اسماً كاذباً ، وقد اعتاد الناس أن يسموا أبناءهم عند ولادتهم وهم لا يعلمون من أمرهم شيئاً ولا من صفاتهم شيئاً فيسمون « عفيفاً » من قدر الله له أن يكون « دنيئاً » ويسمون « مؤمناً » من قدر له الله أن يكون « كافراً » ... ويسمون مايشاءون، ولله في عبده أسماء وعلامات قد تتفق مع أسمائهم، وقد لا تتفق وكان يمكن للأسماء جميعاً أن تتفق مع مسمياتها ولو في الظاهر، إذا لم يتعجل الناس ويسموا أبناءهم، وإذا تربثوا حتى يقضي كل فرد حياته المقسومة له في الدنيا فينظروا فيها ويستخلصوا منها الوصف الذي غلب عليه فيسموه به ... هذا هو ما كان يجب أن يحدث ولكن الناس متعجلون ، وقد رأوا أن الله وهب لهم ميزة النطق فاستغلوها بالحق وبالباطل ، وأعملوا فيها عقولهم ، وراحوا يخترعون الألفاظ والكلمات ليقضوا بها حاجاتهم العاجلة ، ونسوا أن القدر الذي هيأ لهم النطق قد هيأ لهم اللغة ... أو هم قد حسبوا أن أمر اللغة هذا موكول لهم فحرروا تصرفهم فيه ، ولم يقيدوه إلا بإرادتهم ، وإرادتهم كانت في البدء سليمة ، ولكنها أخذت تهلهل وتتمزق وتتشعب فأصبحوا يريدون مالا يصلح أن يكون موضع إرادة، أو متجهاً لرغبة، فبدأوا منذ ذاك يخطئون الكلام، حتى تفرقوا شعوباً لكل شعب إرادة ، فتبلبلت ألسنتهم وأصبح لكل شعب لسان ، وما في هذه الألسنة جميعاً من كلام ما أنزل الله به من سلطان ...

— يخيل إلي أنك كنت تفضل أن يكون الإنسان حيوانا أصم أعجم

— بل كنت أفضل أن يتكلم الناس كلهم لغة واحدة ... فقد خلقهم الله ناطقين وليس عليهم أن يصمتوا بينما أراد الله بهم أن يسبحوه بكرة وعشياً ...

— ولماذا لا تدعو إلى الاسبرانتو ... مادمت تريد أن يتكلم الناس جميعاً لغة واحدة ...

— الاسبرانتو لا يمكن أن يتعلمها النـاس إلا بالتلقين في المدارس ، أما اللغة التي أطلبها فلغة ينطق بها الناس أينما كانوا من تلقاء أنفسهم بلا معلم ، ويفهمها الناس أينما كانوا من أنفسهم بلا معلم أيضاً ...

— وهل هذا ممكن ؟ أو أنت لم يعد يريحك إلا أن تشرئب إلى المستحيل ؟

— إن الذي أطلبه ممكن وممكن ؛ بل إنه أكثر إمكاناً من الممكن ، فهو كائن وحادث

— في أي عالم كان هذا وحادث؟ في أي دنيا وفي أي أرض؟

— في أرضنا ودنيانا هذه، ولكن ليس في عالم البشر، وإنما هو في عالم الحمير، وفي عالم الخراف، وفي عالم القطط، وفي عالم الكلاب ... في هؤلاء العالمين وفي غيرهم. هات قطاً من أمريكا، وهات قطاً من أفريقيا، وهات قطاً من أوربا، وهات قطاً من حيثما شئت، واجمعها في صعيد وانظرها واسمعها وهي تموء وتقول «نو» ثم قولي لي بعد ذلك أرأيت أنها تتفاهم أم لم ترى؟ أما أنا فأقول لك إن كلا منهما يفهم صاحبه، ويعرف ما الذي يريد وما الذي ينزع إليه ...

— إن كل قط يراقب حركات صاحبه فيعرف منها الذي يريده

— اخفِ القط عن صاحبه ترَي أنهما لا يزالان يتفاهمان

— بأي شيء يتفاهمان؟

— بلغة القطط

— وهل للقطط لغة؟ أنا لم أسمع قطاً يقول غير «نو»، فإذا فرضنا أنها لفظة فهل يمكن أن يقال عن اللفظة الواحدة إنها لغة؟

— إنها لغة، وإنها لغة كاملة، والقطط في الحياة الطبيعية تقضي حاجاتها جميعها بها، وهي على هذا الفقر والجدب الذي ترينه تحتفظ بمكانة لا بأس بها بين لغات الأرض، فالنسبة بينها وبين اللغة الصينية كالنسبة ما بين ١، ٣٠٠٠ أو ٦٠٠٠ وهو أقصى إحصاء لاقاني للغة الصينية ... وهذه نسبة تذكر من غير شك وتستحق التأمل من غير شك ... فليس هيناً أن يكون شعب من الشعوب عتيقاً مثل الشعب الصيني، ولا تتباعد النسبة بين لغته ولغة القطط أكثر من هذا البعد الطفيف. والنظرة التي أنظر بها أنا إلى الشعب الصيني هي نظرة إجلال وإكبار، فأنا مؤمن بأنه شعب مغرم بالقداسة والطهر والاتجاه بالنفس إلى إرضاء سنن الطبيعة المتطورة المرتقية التي سنها الله، وهذا هو السبب في أن اللغة الصينية لا تزال قليلة الكلمات إلى جانب غيرها من اللغات، فإن أهلها لا يحبون الثرثرة ويستغرقون في التأمل طويلاً، يبحثون عن أنفسهم، وهم لا يتكلمون إلا في الضروري من الحاجات، وضرورياتهم الخاطفة قليلة إلى جانب ضروريات غيرهم الخاطفة العاجلة ...

— إذا وافقتك على أن الميل إلى الصمت والاستغراق في التأمل هما السبب في قلة الألفاظ عند الصينيين فلا أظن أني أستطيع موافقتك على أن التأمل هو السبب في قلة الألفاظ عند الحيوان ...

— لماذا لا يكون هذا هو السبب ... أتنكرين على الحيوان أنه يتأمل وأنه يتفكر؟ ... من التعسف الشديد أن تقول هذا، فالحيوان يتأمل ويتفكر، ويبدو عليه ذلك، وإن للحمار والحصان إطراقة بينة ولها معان، وقد أحس بعض الشعراء والأدباء والفنانين الصادقين هذه المعاني فناجوا الحيوان ... أفكان هؤلاء مجانين فنانين أصحاب خيال؟ طيب، وما رأيك في سيدنا سليمان الذي كان يكلم الطير والدابة ... أفكان هذا نبياً وكانت هذه معجزة؟ طيب، وما رأيك في مدربي شركات السينما الذين علموا رن تن تن وغيره من النجوم الحيوانات التمثيل؟ أليس هؤلاء ممن يتفاهمون مع الحيوانات؟ إن التفاهم مع الحيوانات ممكن، وإن للطبيعة لغة! وإن من المخلوقات ما لا ينطق إلا بما توحيه الطبيعة من الكلمات والألفاظ، وإن منها ما يثرثر، وليته يثرثر فيما ينفع... ثق أن الإنسان لو كان قد صبر حتى تعلمه الطبيعة الكلام لكان قد اهتدى إلى ألفاظ ينادي بها الجماد فيلبيه

— الجماد الجماد؟

— الجماد وما هو أجمد. ألم يقل الله في قرآنه إن هذا القرآن لو قرئ على جبل لاندك؟

— والقرآن عربي

— وهل قلت لك إنه لاتيني أو يوناني ... ولكن اذهبي واقرئيه على جبل وانظري أيندك أم تندكين أنت؟ إن الذي يدك الجبل هو القرآن العربي لو قرئ بالروح والإرادة

— ولكن اللغة التي كنا نتحدث عنها لغة قلت لي إن لها ألفاظاً

— وهل أنكرت أنا أن هذه الالفاظ عربية؟! إنما الذي أنكره هو أننا ننطق هذه الألفاظ من أعماقنا... أقول لك هذا وأذكرك بأن في القرآن ألفاظاً لم يعرفها العرب قبل القرآن

— تريد السندس والاستبرق وما إلى ذلك؟

— لا. فهذه من صنع الناس أيضاً ... وإنما أريد: «كهيعص»، و«حم»، و«يس»، و«طه»، و«الر» وما إلى ذلك ... هل تعرفين معاني هذه الألفاظ؟

— لقد اختلفوا فيها أيما اختلاف ... فهل اهتديت أنت إلى معانيها ...

— ليتني أعرف معنى إحداها، من يبيعني «يس» بليسانس الآداب ودبلوم التربية؟! هاتين الهباءتين اللتين لا تشهدان على شيء إلا الاطلاع على ما قال القبمتري وما قالت مونتسوري! هف! أريد أن أتكلم يا رب ... ولكني أحرك شدقي وأصوت فيتعثر لساني في حروف صفها أجدادي بعضها إلى جانب بعض. هل سمعت حيواناً يتلعثم؟ هل سمعت يوماً ثوراً أراد أن يقول

« بع » فقال « كع » أو قال « سع » ولكن الناس يتلعثمون فلماذا يتلعثمون ؟ ولماذا لا يتلعثمون إلا عند ما يلتفتون إلى أرواحهم وأنفسهم عند التدبر أو عند الحذر ؟ أليس ذلك لأن هذه الألفاظ التى نصطنعها ليست من الطبيعة فى شىء وأنها تفلت منا مالم نوجه إليها انتباهاً خاصاً ؟ أليس كذلك ؟ ..

— إن هذا سبب لا يمكنك أن تقطع بأنه السبب

— إنى أعلم هذا ، وأعلم أيضاً أن كل ما قلته لك لا يمكننى أن أقطع به ، كما أعلم أن القطع به يحتاج إلى تجنيد علماء النفس ، وعلماء اللغات ، وعلماء كثيرين غير هؤلاء يتقصون ويدرسون ويشاهدون ويجربون ويقضون فى بحثهم هذا السنين ، وربما القرون . وقد ينتهون إلى تكذيب هذا الكلام وتسخيفه ، ولكن ليس معنى هذا أن أحداً من الناس يستطيع منذ الآن أن يرفض هذا الكلام ، فرفضه يحتاج إلى تفكير مثلما يحتاج إلى التفكير قبوله ، وإن معى من القرائن والأدلة ما يحتاج إلى جهد قبل تحطيمه ...

— علىّ منها بدليل وقرينة

— أما دليلى على أن للطبيعة لغة تعلمها للناس فإجماع الأطفال فى الدنيا كلها على نداء الأب بقولهم « بابا » وعلى نداء الأم بقولهم « ماما » ... ولا تزال اللغات تحتفظ بالباء أو ما يشبهها فيما أطلقت على « الأب » من أسماء كما لا تزال تحتفظ بالميم وما يشبهها فيما أطلقت على « الأم » من أسماء .. أما القرينة ..

— إن الأطفال يقولون بابا و ماما لأن الباء والميم حرفان مفرقعان من حروف الشفتين ، وحروف الشفتين هى أسهل الحروف وأسرعها إلى الخضوع والانسياق للانسان

— طيب ، ولماذا لا يخطىء طفل فيقول لأمه « بابا » ولأبيه « ماما » ؟ هل يعلمه أحد هذا ؟ الطبيعة تعلمه إياه . وفى لفظة « ماما » ما يشبه حركة الامتصاص والرضاعة ، وإن فى لفظة « بابا » ما يشبه الاستنجاد بقوة الأب ...

— صحيح أو كأنه صحيح .. وكنت تريد أن تستشهد بقرينة ...

— نعم . إن الأرض فى اللغة العربية اسمها « أرض » ، وفى اللغة الإنجليزية اسمها earth وهى تنطق إرث و« الإرث » فى اللغة العربية ما يورث ، والإرث فى الأديان جميعاً هو الأرض أورثها الله للانسان ... واللغة العربية بعيدة كل البعد عن اللغة الإنجليزية ، وعلماء اللغات يوسمون الشقة بينهما ، فلا بد أن تكون كلمة الأرض وكلمة earth مما علمته الطبيعة للناس اسماً للأرض ، لأن هذا التشابه لا يحدث إلا فى هذه الحالة ، أو فى حالة أخرى ، وهى أن تكون لغة من هاتين اللغتين قد أخذت هذه الكلمة من اللغة الأخرى وهذا يستبعد أن يحدث فى اسم الأرض التى هى أم الناس جميعاً والتى يعرفها الناس جميعاً ، والتى لا يمكن أن يظل شعب من الشعوب غافلاً أو عاجزاً عن تسميتها ، حتى يأخذ اسمها عن غيره

— وماذا أيضاً ؟ ...

— ليس علىّ أن أصل بك إلى نهاية الطريق ، بل يكفينى معك أن أشير إليه ، فاسعى إذا شئت ، ولكل إنسان ما سعى .

— وهبنا وصلنا إلى هذه اللغة الطبيعية التى تقول عنها . فماذا نصنع بها أكثر مما نحن صانعون بلغاتنا ...

— أول ما يحدث أن ينمحى من الدنيا الكذب ، فكلمات الطبيعة لا يلفظها إلا الطبع ... عندئذ يستطيع الإنسان أن يستمع إلى صاحبه بأذنه فقط ، وألا يتفرس فى وجهه بعينه ، ليرى مدى ما ينطبق كلامه على ما يختلج فى نفسه ... عندئذ ستنكشف الأنفس وتخاطب الضمائر الضمائر ... فإذا قلت لك « هشت » ...

— قلت لك « كش » ...

— فقلت لك « هم » ...

عزيز أحمد فهمى



بعـــد الأوان ...

للأستاذ محمد سعيد العريان

يا لله! وفى الدنيا هذا الجمال؟

فتاة، وما أعرف مثلها فيمن رأيت!

أتراها كانت تعرف أين هى من أحلام فتيان الحى؟

وكان لها من جاه أبيها جمالٌ إلى جمال، فاجتمعت لها أسباب الفتنة والإغراء ...

ورآها صديقى فتبدّل غيرَ ما كان، وإنه لشاب وإنها لفتاة، ولكنها ... ولكنه ...

وجاءنى ذات مساء وفى عينيه دموع ... يا لى مما أرى! صديقى يبكى! هذا الذى كنت أظنه لا يحمل من هم الدنيا إلا مثل ما تحمل نعله من تراب الأرض! يا عجباً!

وفتحتُ له صدرى فآوى إليه، ومضى يحدثنى بخبره

* * *

« ... وما يليق أن أبقى بعد اليوم عَزَباً ... وقد جاوزتُ الخامسةَ والعشرين! »

وابتسمْت؛ فما سمعتُ صديقى يتحدث قبلُ عن الزواج بمثل هذا الوقار المحتشم. لقد استطاعت امرأة واحدة أن تحمله على رأىٍ لم يكن واحد من أصحابه جميعاً يستطيع أن يحمله على الإيمان به. ويا طالما قلنا ويا طالما أجاب ... !

ومضى صديقى فى حديثه:

« وأجمت أمرى على أن تكون لى؛ فما يرضينى أن لى بها كلَّ متاع الدنيا. لقد وجدتها، وهى حَسْبى من دنياى!

«وراح الرسول عن أمرى يؤامرها ويرود لى الطريق؛ وكتم عنها اسمى وخبرى ومكانى بين الناس؛ فما كان إلا أن سألته: وكم جنيهاً يقبض فى كل شهر؟

«وأجابها الرسول بما أجاب، فضحكت ساخرة وقالت: اثنى عشر جنيهاً؟ يا له من عروس! فكم يعطى الطباخ وكم يعطى السوّاق ... ؟

« وعاد إلىَّ الرسول بجوابها ... ! »

وأطرق صديقى برهة، ثم رفع رأسه وشفته تختلج وفى عينيه بريق. وابتسمتُ ثانية، وقلت: فما غضبك يا صديقى مما قالت؟ إن لها فى الحياة ميزانها الذى تقيس به أقدار الرجال؛ وإن للحياة موازينها؛ فما ضرك أن تكون فى ميزانها ما تكون وأنتَ أنت. إن معك الشباب والقوة، وإن لك غداً يبتسم ويرفّ، وإن دماً فى أعراقك يتحدث به التاريخ؛ فهل يخدعك عن كل أولئك أن فتاة تقول ... ؟

وأمسكتُ عن تمام الحديث؛ فقد رأيت فى عينى صاحبى ما قطعنى وردّنى إلى الصمت!

وعاد إلى حديثه:

« وددت يا صاحبى لو لم يكن كل أولئك وكانت هى ... ؟ »

ورأيتنى منه على حال لا يجدى معها إلا أن أسكت؛ فسكت!

وودّعنى صديقى بالوجه الذى لقينى به، ومضى لشأنه

* * *

يا لقلوب الشباب من سلطان الحب!

ولقيته بعد ذلك مرات؛ ولكنه كان شابًّا غير مَن أعرف

هذا الذى كان لا يعرف من فروض الحياة على الحى إلا أن يبتسم ويضحك، ويعبث بكل شىء، ويسخر من كل شىء — قد عاد فى عبوسه وتزمّته وصرامة نظرته إلى الحياة خلْقاً آخر!

يا عجباً! أين ما صار مما كان؟

تمرُّ به الجميلة الفاتنة قد أخذت زخرفها وازّينتْ، فما تظفر منه إلا بالنظرة العابرة!

ويسمع النكتة البكر تضجّ لها جنبات المجلس بالضحك والتهليل فما تنال منه إلا بسمةً خاطفة!

وتتداعى أمانىُّ الشباب فى معترك الحديث من حوله فما تسمع منه إلا أنةً خافتة!

ويتبارى الفتيان فيما يحكون من أقاصيص الحب وغزوات الشباب فما ترى على وجهه من دلائل يقظة الوجدان إلا سُبحة لطيفة من سبحات الذكرى، ثم خفقة طرف وخلجة شفة!

ثم يسمع أحاديث الزواج والخطبة ... فتراه كما ترى جندياً في إجازة يتلقى أخبار معركة حربية مظفرة وبينه وبين الميدان أبعاد وأبعاد!

ترى ماذا يتوقع أن يسمع؟

شيء واحد لم يُغيِّره الزمن من أخلاق صاحبي: هو سخاء يده؛ فما عرفتُ في أصحابي من قبلُ ومن بعدُ أكرم يداً منه بما يملك!

* * *

وترادفت الأعوام، ولم يتزوج صديقي ... ولم تتزوج صاحبته!

أتُراها كانت تعلم من خبره ما أعلم؟ ومن أين لها؟ ... إن لصاحبي من الكبرياء ما يمنعه أن يلتمس إليها الوسيلة بعد ما كان ... وإن ... وإن الخطاب لتزدحم أقدامهم على بابها فما تعرف كم ردّت بالخيبة والخذلان!

أم تراها تعرف اسمه؟ ... هذا الذي لا تذكر من صفاته — إن ذكرت — إلا أنه شاب يبلغ دخله في الشهر اثني عشر جنيهاً، بعثَ إليها مرة يخطبها فردّته ... وكم في خدمة الدولة من شبان يبلغ دخلُهم ما يبلغ دخلُه؛ وحسبه هذا تعريفاً بين آلاف من النكرات!

ولكن صديقي اليوم في منصب رفيع. لقد سما به جده وعمله إلى ما لم يبلغ أحد من نظرائه! أتُراه يوازن الهوم بين ماضيه وحاضره؟

* * *

لقد مضى منذ تلك الليلة التي زارني فيها صديقي زيارته خمس عشرة سنة!

يا ... ! ما أسرع ما تمرّ السنون! ... أين أنا اليوم مما كنت يومئذ؟

لقد كنتُ يومئذ فتى في باكر الشباب، لم يجر حدُّ الموسى على عارضه بعد؛ وإنني اليوم لزوجٌ وأب، وإن في رأسي لشعرات بيضاً ما إن يخفيها ميلُ الطربوش ولا صنعَةُ الحلاق! ... وصديقي لم يزل عزباً ... صديقي الذي كان يخشى أن تفوته سن الزواج، منذ خمسَ عشرةَ سنة!

أين هو اليوم؟ وأين حاضره من ماضيه؟

لقد ضربتْ بيني وبينه ضرباتُ الدهر فلم ألقه منذ أعوام. وددت لو أعرف من خبره!

* * *

وخرجت أمس من داري على ميعاد. فإني لفي طريقي إذ لقيته! يا للحظ!

وأقبلتُ عليه وأقبل عليّ؛ وهممت أن أسأله حين بادرني بقوله: «إني أدعوك بعد غد إلى داري ... ... »

— تدعوني؟ ...

— نعم، لقد اتفقنا أن يكون الزفاف بعد غد!

— بمن؟

— وهل حسبتني أرضى يوماً أن لي بها كلَّ متاع الدنيا! إنها هي ... لقد ضرب القدر بيننا موعداً فلم يخلفه. إن لكل شيء أوانه!

* * *

... وكما جلس صديقي مني مجلسه ذات مساء، منذ خمس عشرة سنة ليحدثني بخبره — كان مجلسه الليلة مني ...

وكان في عينيه بريق غير البريق، ولصوته لحن ورنين، وفي عينيه دموع؛ وكانت الكلمات ترتعش على شفتيه؛ لأن فيها نبضات قلب حي. وصعّدت نظري إليه؛ فرأيت في فوديه شعرات سوداء في شعر أبيض، كأنما كانت لتشير إلى أنه ما زال هنا بقية من شباب.

ومضى صديقي في حديثه ...

« ... ولم يعد إليها رسولي منذ كان ما كان؛ وما عرفت اسمي ولا جاءها خبر من خبري بعد؛ وكأنما كان يدخرها لي

القدر ؟ فلم تتزوج ، وارتد الخطاب جميعاً عن بابها مخذولين ، وآن الأوان ... ...

« هل جاءك يا صديقي أن مرتبي اليوم في الحكومة ثلاثون جنيهاً في الشهر ، غير ما أكسب من أعمالي الخاصة ؟ ... ... وبعث إليها رسولاً آخر بؤامرها للمرة الثانية ... »

وضحك صديقي ضحكة مرحة ، ثم عاد يقول :

— أتذكر ليلة جلست إليك أحدثك مثل حديث الليلة ، منذ ... منذ كم ... ؟

« ... وقالت للرسول وقال لها ؛ ثم سألته : وكم دخل صاحبك في الشهر ؟ فأجابها ... وكان القدر قد هيأ أسبابه ، فأجابت ... وزرتها من بعد ، وتم الاتفاق ! »

قلت لصاحبي :

— فهل عرفت هي أنك أنت أنت ، ... هل عرفت أنك سعيت لخطبتها مرة منذ خمس عشرة سنة فردتك ؟

فقال :

« وماذا يعنيني ، عرفت أو لم تعرف ؟ حسبي أنها اليوم لي ؛ وأن ما أردته قد كان ! »

* * *

ووجد المسكين تعبير رؤياه بعد خمس عشرة سنة من عمر الشباب ، ووجدت تعبير أمانيها . وباعت المسكينة شبابها وشبابه بثمن بخس ، حين تأبت عليه ، ومعه حرارة الشباب ونضارة العمر وسعادة الحب لترضاه من بعد وهو شباب مدبر ، ونجم آفل ، وشعلة إلى رماد ! ...

محمد سعيد العريان



قيصر ستالين الرهيب

[ملخصة من مجلة «باريد» الانجليزية]

كلما مرت الأيام زادتنا اعتقاداً بأن حالة روسيا الاشتراكية اليوم ينطبق عليها المثل الذى يقول : «تتغير وحالها لا يتغير» ويقول (هارولد ونى) فى مجلة (نيويورك مجازين) : «كانت روسيا القيصرية فيما مضى توصف بأنها ولاية تحكمها طائفة من السفاحين» ووصف كاتب بلاد السوفييت فى عهدها الحديث فقال : «هى دولة بيروقراطية يأتمر بها زمرة من الجلادين» . وهذا قول صحيح إلى حد بعيد ، إذا أعدنا إلى الذاكرة عملية التطهير الكبرى التي اجترمت فى روسيا ما بين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٣٨ . أما اليوم فقد نكون أقرب إلى الدقة والصواب إذا قلنا إن النظام الحكومى الذى تسير عليه روسيا الآن ، هو نوع من الحكم الاستبدادى الشرقى القديم

فروسيا يحكمها رجل واحد هو «جوسيف ستالين» ينفذ إرادته المطلقة فيها بطريقة لم تتح للقيصر فى جبروته ، بل لم يظفر بها هتلر ، وذلك أن النظام السوفيتى متوغل فى حياة الشعب الداخلية والخارجية ، بطريقة لم يسبق لها مثيل فى حياة الإنسان

ومن ثم كان من السهل على «الكرملين» أن يعلن الرأى النهائى فى السياسة العالمية — ما بين عشية وضحاها — كما فعل فى الوقت الأخير إذ أعلن فصم العلاقات الروسية بالأمم الديمقراطية الغربية وارتباطها بألمانيا . فى مقدور ستالين أن يتصرف كيف شاء فى سياسة روسيا الخارجية . ولا يجسر أحد أن يرفع صوتاً ما بمعارضته بحال من الأحوال

فروسيا وإن كانت تعد من الناحية النظرية أمة ديمقراطية ، بعد أن كانت — نظرياً — تحكم حكما دكتاتورياً بواسطة الطبقة العاملة ، فهى فى الواقع لم تكن قط فى هذا ولا ذاك . قد يكون لينين ورفاقه يرمون إلى قيام دكتاتورية من العمال ، وقد يكون فى دعوى نظام الديمقراطية الروسية عام ١٩٣٦ شىء من الإخلاص

إلا أن التجارب التى اكتسبها الاشتراكيون بسلطتهم المطلقة قد أقنعتهم بأن الشعب الروسى يجب أن يقاد ، يجب أن يقهر ويقبض عليه بيد من حديد . فأصبح لينين دكتاتوراً ولكن بعقله وأخلاقه قبل أن يكون دكتاتوراً بقوته وجبروته

وقد تولى ستالين الزمام بعد لينين ، فصار دكتاتوراً مطلق الحرية أكثر مما كان لينين . ويرجع نجاح ستالين كحاكم مستبد منقطع النظير فى العصر الحاضر ، إلى خبثه الزائد واستهتاره الذى لا حد له

ولعل قوة البوليس فى روسيا هى المصدر الحقيقى لنفوذ ستالين والبوليس الروسى يقوم على نظام لا يتفق مع العقلية الأوربية على الإطلاق ، وهو يقوم بأعمال واسعة النطاق فى التجسس وسفك الدماء ، وتشجع السلطة السوفيتية التجسس بين أبناء الشعب حتى أن الجار فى روسيا يتجسس على جاره والشخص يشى بأفراد عائلته ، وقد تصل بلاغات البوليس إلى حد الاختراع ويضيع بسببها كثير من نفوس بريئة

فكل إنسان فى روسيا اليوم خاضع لستالين ، وفى اللحظة التى تقع فيها الشبهة على إنسان يختفى أثره من الوجود

على أن ستالين لا تعوزه الوسائل التى يستحوذ بها على الرأى العام فى روسيا . فهو يضع تحت يده الصحافة عامة والإذاعة والمسرح والسينما وكل ما عدا ذلك من وسائل التعبير . فإذا أراد أن يطلب كلمة الرأى العام فى المساء كانت بين يديه فى الصباح بغير كد أو عناء

فإذا نظرنا إلى ضحايا ستالين من النفوس ، وإلى اليد الحديدية التى استولى بها على الشعب الروسى أفراداً وجماعات ، أيقنا بأن الحاكم المستبد المعروف باسم «قيصر إيفان الرهيب» لم يكن شيئاً إلى جانب ستالين

التحالف الدولى لأجل السلام

[ملخصة عن «وسترن ميل» نيوكاسل]

منذ بضعة قرون خلت خرّبت أوربا ، وشطرتها الحروب باسم الدين وتأرثت نيران القتال بين البروتستانت وبين الكاثوليك فى سبيل السيادة والسلطان ، وعادت حروب الأسر التى كان يثيرها الملوك والأباطرة ، إذ كانت الشعوب تعامل لديهم كالرهائن ، فانصرفت إلى تلك الناحية القائمة على التعصب الدينى ، وصار كل يعمل من جانبه لإيقاع الشر بالآخرين ، بدعوى أنه يؤدى واجبه نحو الله ، بدفع أعدائه إلى الجحيم

وفى القرنين السابع عشر والثامن عشر ، بدأت تظهر فكرة الوطنية ، وأخذ التنافس يدب بين الأمم الأوربية فى سبيل السيادة

فيما وراء البحار ، فزالت فكرة الحروب الدينية ، وخلفتها حروب أخرى قائمة على الغلبة ، والمنافسة فى التوسع التجارى ، وإفساح الطريق أمام المهاجرين

ومن ثم تغيرت صفة الحرب، فلم تعد آلة لتنفيذ شهوات الحاكين أو سلاحاً يشهره رجال الدين لنصرة مذهب على مذهب آخر، فهى وسيلة للحكومات الوطنية التى تسعى وراء التوسع والسلطان .

فما هو الدرس الذى يمكننا أن نستخلص من هذا ، للحالة القائمة فى أوربا اليوم ؟ إن المشاغبات الدينية التى كانت تقع فى أوربا فى القرن السادس عشر ، والقرن السابع عشر ، أصبح لها مشابه فى مبادئنا السياسية اليوم . فالدكتاتورية والفاشية والبلشفية والديمقراطية لكل منها دعاتها المتعصبون لها ، الراغبون فى فرض نظامهم السياسى على الأمم الأخرى

نحن نؤمن بالديمقراطية، بل ونحن على أتم استعداد للدفاع عن نظامنا الديمقراطى المتيد، ولكننا لا نرى معنى لفرض هذا النظام على أمة أخرى. فنحن على ثقة بأن الديمقراطية سيكون لها الفوز فى كل أمة فى النهاية ، لأنها خير الأنظمة الحكومية وأليقها بنى الإنسان

فإذا كنا نحارب ألمانيا اليوم ، فنحن لا نحاربها لقسوة الحكومة النازية وظلمها ، فهذا شأن من شئون الألمان ؛ ولكنا نحاربها لاعتدائها على بولندة وتشيكوسلوفاكيا ، فإذا رد الشعب الألمانى إلى هذه البلاد استقلالها كان من السهل أن نضع يدنا فى يده ، وأن ندخله معنا فى محالف دولى عام

إن النازية سوف لا تتفق معنا على مثل هذا التحالف ؛ ولكن الشعب إذا أعد نفسه لقبول هذه الفكرة التى لا بد منها لإقرار السلام فى العالم ، لن يقوى هتلر على مقاومته ، ولا يقف أمام إرادته ، بل يختفى أثره ، وتذهب مجهوداته أدراج الرياح

كيف نضطلع بأعباء الزواج

[ملخصة عن مجلة « يو »]

نحن نقبل الزواج فى العادة لأننا نريد أن نشبع فى أنفسنا الرغبة فى أن نحب وأن نُحب ، وأن نظفر بالرفقة الطيبة ، ونشعر بالدعة والسلام ، ونحس فى أعماقنا بأننا نعيش كيف نشاء . تلك هى الأسس التى تدعم فى أنفسنا فكرة الزواج وليست الفكرة الجنسية كما يظن بعض الناس . فإذا أتيح لنا أن نشبع فى أنفسنا ذلك الشعور المتأصل فى أعماقها جاء التوافق الجنسى تبعاً لها ولا محالة

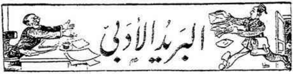
إن الناحية الجنسية ضرورة فسيولجية ولا شك ، ولكنى أستطيع أن أقول هنا إننى قد تبينت فى تجاربى النفسية ، وأنا أصغى إلى حديث الزوجات والأزواج وهم يفرغون على أذنى ما بدا وما استقر من متاعبهم الزوجية ، حقيقة تتأكد لى صحتها كل يوم، وهى أن الدواعى النفسية هى أهم شىء فى الزواج. فإذا نبذت هذه الناحية أو مست بسوء أوعدت عليها بعض المتاعب التى تكدر صفاء تلك الرابطة وتحرمها الأمن والسكينة، تبدد التوافق الجنسى تبعاً لها

إن الزوج الذى لا يعرف التبصر فى النهار ، جدير بأن يجد زوجة عاجزة عن مبادلته الحب فى الليل ، والزوج الذى تستهين به زوجته وتمتهنه لا يجد سبيلاً إلى أن يشتهيها أو يشتهى أى شىء آخر ، وليس العلاج فى هذه الحالة عند الطبيب الذى تندفع إليه ليعالجك ببعض العقاقير أو المحامى الذى تلجأ إليه ليضع حداً بينك وبين زوجك ، ولكن العلاج هو حسن التفاهم الذى يظهر بمرور الأيام فيزيل ما فى النفوس من الآلام ويمحو ما يخالجها من النزق وقلة الانسجام . وخلاصة القول أننا جديرون فى هذه الحالة بأن نجعل الزواج متفقاً بقدر الإمكان مع الحاجات النفسية التى يريدها كل من الآخر

جيوفانى فركا يحدثنا عن الملاريا

عندما يقرع الجرس من جديد للقطيع فى السكون العميق تهرب العصافير دون ضجة والراعى نفسه الأصفر من الحمى والأبيض من الغبار يفتح جفونه الوارمة برهة ويرفع الرأس فى ظل الخيزرانات اليابسة . لأن الملاريا هنا تدخل فى الخيزران الذى تأكله فالملاريا تفاجئ السكان بغتة على الطريق المقفرة وتفاجئهم أمام باب البيوت المحروقة بالشمس مرتجفين من الحمى تحت ملابسهم الواسعة مع الغطاء على الرأس .

والآن قد انقلب كل شىء فتحت سماء إيطاليا أقوياء البنية وهم لا يشكون الآن من مرض الملاريا . وهى السكينا التى سمحت بهذا التغيير السكينا الدواء المعروف منذ سنة ١٦٣٠ فلجنة الملاريا بجمعية الأمم التى تكرس نفسها خصوصا لدرس المسائل المتعلقة بالملاريا تنصح لدرء هذا المرض بأخذ ٤٠٠ ملليجرام يوميا من السكينا طول موسم الحميات وإذا كان أصيب الانسان بالمرض فالدواء الموصوف يلخص فى علاج سريع المدة فيكفى أخذ جرام واحد أو جرام وثلاثين سنتجرام من السكينا كل يوم مدة خمسة أو سبعة أيام ولا داعى للمعالجة التكميلية ففى حالة الانتكاس يمكن تطبيق العلاج ذاته .



عود الى المسرح

قلت فى مقالى السابق فى المسرح (٣٣٥) إن الفرقة القومية إذا أصرّت على أن تتجافى عن الفن السليم الرقيق — ولا أقول الخالص بعدُ — فلتهجر إلى شارع عماد الدين تنافس فيه ما تشاء. فهنالك معترك المسرحيات الرثّة . و « لويس الحادى عشر » من البضاعة المبتذلة . وإن خطر لك أن تستوحش من ناحيتى فتتوجس منى التشدّد ، فخذ حكم ناقد بصير من نقاد المسرح فى فرنسة واسمه لوسيان دوبيك Lucien Dubech ؛ و « لويس الحادى عشر » من تأليف ك . ديلافنى C. Delavigne وهو فرنسى ؛ وفى فرنسة برزت تلك المسرحية ، وأديت غير مرة . يقول دوبيك فى مؤلفه الضخم : « التاريخ العام المزوّق للمسرح » (باريس ١٩٣٢ ج ٥ ص ٤٥ ى ى) : « إن مسرحية لويس الحادى عشر ليست بأحسن من أرذل المآسى الابتداعية (الرومنتيكية) » . ثم يبين دوبيك مقدار فساد المسرحية من جهة حقيقة التاريخ وحبك الموضوع ونسج المشاهد

تلك هى قيمة المسرحية ، وهى من نوع المأساة المفرطة الملفّقة تلفيقاً mélodrame à ficelles . وأما تأديتها على مسرح الأوبرة فلولا براعة الأستاذ جورج أبيض واقتصاده فى الأداء ، فى الفصل الأول والثانى ، لانقلبت المسرحية كلها « مهزلة » وضربت إلى لون التهريج le burlesque . وقد لمس النظارة ذلك اللون فى الفصل الثالث إذ غالى أبيض فى الرجفان واللهاث والحشرجة والتضوّر . وأثار هـذا المشهد من حولى الضحك الفاتر ، فحمدت الله على أن زمن طلب الانتفاض الرخيص قد ولّى . وكأنى بالأستاذ أبيض - مع إكبارى لسماء - عزّ عليه أن يترك فى ذلك الفصل طريقته الأولى ، وقد فاته أن الذوق يسيل ويتحول

وفى الإخراج نفسه مآخذ. من ذلك موقف الأستاذ حسين رياض فى حجرة الملك ، فإنك تراه ينوى اغتيال الملك فيصيح صياح الذبيحة - كأنه يغالب أبيض فى المغالاة - وخلف باب الحجرة حرّاس كماة ساهرون . إن ذلك الموقف يتطلب الهمس المضطرب والقرّ فى الأذن ؛ وذلك آخذ للأعصاب من الصياح والولولة . ومن المآخذ أيضاً أن كراسى المخدع كانت منجدة تنجيداً ، والمتعارَف أن فن الأثاث فى عهد لويس الحادى عشر - أى قبل تأثير الفن الإيطالى l'italianisme فى بقايا فن القرون الوسطى - يجهل الفُرُشَ المنجدة ، بل يطرح الطارح على المقاعد المختلفة نمارقَ وبُسُطاً ووسائدَ . ومن المآخذ أيضاً أن المخرج لم يُفد من الدَّرَجِ القائم فى منتصف الحجرة، المؤدى إلى مخدع الملك . فإنما على ذلك الدرج كان يحسن بالمغتال أن ينقضّ على الملك. وهكذا يكون الانقضاض من علٍ ، ويكون الصراع ، مع ما يليه من تقلب الملك على الأرض ، بيّناً للنظّارة

أضف إلى كل هذا أن نفراً من الممثلين لم يحسنوا الإلقاء ولا تنغيم الكلام . ويحزننى أن أخصص فأذكر الآنسة فردوس حسن والأستاذ زكى رستم

بقى أن فى الفصل الثانى مشهداً لطيفاً . وهذا المشهد إلى نوع المهزلة قريب ، والمهزلة فن يحكمه فى مصر ، ولذلك يستغيث به المخرجون عندنا لعلمهم أنه عمود النجاة

وهنا ألتفت إلى الأستاذ فتوح نشاطى الذى أخرج منذ عودته من باريس مسرحيتين : الأولى « تحت سماء إسبانية » ، وأظننى قلت فى تأديتها قولاً حسناً ؛ والثانية « لويس الحادى عشر » . ألتفت إلى الأستاذ فتوح أصارحه بأنى أراه يُخرج مسرحيتين يعرف أنه يظفر من ورائهما بالنجاح السهل ، إذ أنهما من النوع الذى يُرضى من قلت درايته وجفت ثقافته . وهو نوع يلوذ بالتأثير الباشر والحادث النفّاض ، فضلاً عن إغراقه فى الابتداعية الكريهة . ومتى نتخلص منها ؟ ألا قد حان الزمن يأيها الناس!

وكم كنت أود أن أرى الأستاذ فتوح نشاطى يهمس فى أذن الأستاذ أبيض : أتريد أن تمثل لويس الحادى عشر ، فاعدل عن تلك المسرحية البالية التافهة إلى إحدى مسرحيتين لبول فور Paul Fort . أما الأولى فعنوانها « لويس الحادى عشر الرجل الشاذ » Louis XI, curieux homme وقد برزت على مسرح « الأوديون » سنة ١٩٢١ . وأما الثانية فعنوانها « أصفياء

الملك لويس الحادى عشر « Les Compères du roi Louis » وقد برزت على مسرح « الكوميدى فرانسيز » سنة ١٩٢٦ . فهنا تصيب اللطف والنسق فضلاً عن الجدّة والروح الشعرى

إن الأستاذ نشاطى انطلق إلى باريس وأقام بها سنة ونحو سنة ليغفل وبين يديه الطرائف وبين جناحيه ولع بالفن الرقيق

أمنية أرقب من يحققها : جماعة أو فرقة أو شعبة للفن الخالص ، الفن الطالع

بشر فارس

نهج البلاغة أيضاً

إلى الأديب الكبير الأستاذ النشاشيبي

قرأت بلهفة شديدة فتواكم الأدبية على استفتاء السائل العراقى حول نسبة (نهج البلاغة) وذلك قبل أن أسبر موضوعات الرسالة الغراء، لظنى أن جواب حجة الأدب وأعلم الناس بمراجع هذا البحث ، كما اتفق على ذلك السائل وخصومه ، سيكون شافياً كافياً . ولكن مع الأسف لم يكن كذلك ، لأن الأستاذ اكتفى بترجيح قول المنكرين بلا مرجع حيث لم يدعم فتواه بالدليل والبرهان شأن غيره من أهل البرهان وفرسان الأدب وحجاجه . كما أن إحالة السائل ومناظريه على كتابيه حفظه الله (كلمة فى اللغة العربية) و (الإسلام الصحيح) غير كافية للحكم .

ثم إن قول حجة الأدب « إن نهج البلاغة من كتب إخواننا الإمامية وهو مجموعة مصطفاة إن لم يحبره سيدنا على (رضى الله عنه) فقد انتقاه وحبره علويون كما زخرف محدثون (كل حزب بما لديهم فرحون) » قول مجرد لا يقنع الخصم . وكان الأجدر بأعلم الناس بمراجع هذا البحث المهم أن يزيح العلة ويشفى الغلة بما لديه من حجج وبراهين وإن كانت التى أوردها فى كتابيه (كلمة فى اللغة العربية والإسلام الصحيح) ذلك ليكون القراء على بينة من حقيقة هذه الدعوى وحجة الفتوى التى اضطرتنى إلى أن أطلب إلى الأستاذ الحجة وألتمس منه تنويرى وإرشاد طلاب الأدب وهواة التاريخ بإيضاح النقاط التالية :

١ — من هم العلويون الذين حبروا مجموعة كتاب (نهج البلاغة) المصطفاة ، لأن كلمة المنكرين تكاد تتفق على أن واضعه هو الشريف الرضى وحده بلا معين ولا شريك

٢ — هل يقصد الأستاذ بكلمة العلويين الذين يمتون إلى علىّ بصلة النسب أم بالمبدأ والتشيّع له ؟

٣ — هل تمت مجموعة النهج فى عصر واحد أم فى عصور مختلفة مع بيان الأسباب والدواعى لوضعها على قدر المستطاع

٤ — ما قولكم دام فضلكم فيما أثبته المؤرخون وجهابذة الأدب من قدماء ومتأخرين من غير العلويين فى صحة نسبة أغلب المجموعة المصطفاة لسيدنا علىّ كرم الله وجهه

٥ — إرشادنا إلى الخطب التى ثبتت صحة نسبتها لأبى الحسين عند الأستاذ

٦ — إذا عسر على حجة الأدب أن يزيل عنا الإبهام الوارد فى جوابه الذى أجاب به السائل العراقى والمنحصر فى النقاط المتقدمة ، فإلى من تنتسب مجموعة (نهج البلاغة) وهو الكتاب العظيم بعد كلام الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . هذا ما نود من صميم الفؤاد ألا يضن حضرة الأستاذ بإعطاء الجواب الشافى عليه ، وبذلك يكون قد أسدى خدمة جليلة جديدة للأدب العربى الصحيح .

(بعقوبة — عراق) توفيق الفكيكى

فى معنى بيت وإعرابه

قال أعشى قيس فى مطلع قصيدته فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

فقال النحاة : إن « ليلة » فيه ليس منصوباً على الظرفية ، لأنه يكون المعنى على ذلك ألم تغتمض عيناك فى ليلة أرمد ، وهو الذى يشتكى عينيه من الرمد ، وذلك معنى فاسد ، وإنما هو منصوب على أنه مفعول مطلق ، والمعنى عليه : ألم تغتمض عيناك اغتماض ليلة أرمد ، أى اغتماضاً يشبه اغتماضه ، فحذف المصدر المضاف إلى الليلة وأقيمت مقامه ، فصار إعرابها كإعرابه

وقال صديقى العالم العلامة أبو رجاء فى تعليقاته على سيرة ابن هشام : هذا الذى ذكره النحاة مبنى على أن « أرمد » صفة معناها الذى أصابه الرمد ، والألف فيه ألف إطلاق ، وعندى أن خيراً من هذا كله أن يكون قوله « أرمدا » فعلاً ماضياً مسنداً

إلى ألف الاثنين التي تعود إلى قوله « عيناك » وعليه يكون ليلة منصوباً على الظرفية . قال الفيومي في المصباح : « رمدت العين من باب تعب وأرمدت بالألف لغة » ويكون قد حذف تاء التأنيث من الفعل المسند إلى ضمير المثنى المؤنث

وقد تكلف صديق أبو رجاء هذا الإعراب بناء على تلك اللغة التي ذكرها المصباح ، وعلى أن الفعل المسند إلى ضمير المؤنث المجازي يجوز تجريده من التاء في ضرورة الشعر . ولو أن الأمر يقف عند هذا لسهل الخطب ، ولكن المعنى الذي أراده الأعشى لا يتفق مع هذا الإعراب ، وهو معنى متقرر عند الشعراء لا ينفرد به الأعشى وحده ، وقد ورد في قول امرئ القيس بن عانس الكندي :

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد

فالأعشى يريد هذا المعنى الذي صرح به امرؤ القيس ، وهو ظاهر جداً في إعراب جمهور النحاة ، ولا يريد الأعشى أن عينيه اغتمضتا في ليلة إرمادها ، لأنه لم يكن في موقف الشكوى من هذا ، وإنما كان في موقف النسيب الذي يبتدأ به القصيد ، وهذا ما قررته لطلابي في القسم العام بالجامع الأزهر عند موضعه من المفعول المطلق

عبد المتعال الصعيدي

في عيد القاهرة الألفي

مما عنيت به الجمعية الجغرافية الملكية — لمناسبة عيد مدينة القاهرة الألفي — إصدار كتابين عن المدينة ، أحدهما باللغة الفرنسية ، وهو يتناول الكلام عنها منذ نشأتها إلى ما قبيل حملة نابليون ، كما رآها الرحالون الأوربيون . وقد اضطلع بتأليفه الأساتذة : فييت ومونييه ودوب ؛ وأتموا جانباً كبيراً منه .

وسيضم هذا الكتاب الأحاديث الممتعة التي كتبها عن القاهرة كثير من الرحالين الذين زاروها حين كانت أغنى مدن الشرق وأعظمها اتساعاً . ويشتمل إلى هذا ، على وصف معالمها والمراسم التي كانت تجرى في استقبال سفراء الدول الأوربية في بلاط السلاطين والخلفاء .

وأما الكتاب الآخر ، فيتناول موضوع « القاهرة عند الرحالين الشرقيين » ، وسيصدر باللغة العربية ، وقد أخذ في تأليفه الدكتور زكي محمد حسن والنقيب عبد الرحمن زكي ، وهو يتمم الكتاب الأول .

وستعرض الجمعية نموذجاً كبيراً مجسماً لمدينة القاهرة بدىء بعمله منذ حوالى عشر سنوات بفضل رعاية المغفور له الملك فؤاد . وقد أتمه المختصون في مصلحة التنظيم فجاء مشتملاً على كل مبنى وشارع وبيت في المدينة .

وكذلك تعرض الجمعية مجموعة كبيرة من المصورات الجغرافية والمستندات واللوحات والصور التي تتعلق بعاصمة البلاد وتاريخها في مختلف العصور .

إلى الأستاذ الجليل « م »

اطلعت في الجزء (٣٤٠) من الرسالة الغراء على مقالكم القيم « قد لا يكون » ، وفيه سقتم شواهد على صحة توسط « لا » النافية بين «قد» والفعل . وإنه لعمل عظيم تضيفونه إلى ما أسديتم إلى قراء العربية من أياد يشكرونكم عليها ...

غير أنه لفت نظري نقلكم هذه العبارة من كلام المكبري — أن قد صدقتنا — أن مخففة من الثقيلة واسمها محذوف وقيل : أن مصدرية (وقد لا تمنع) من ذلك إلى منتهى كلام المكبري .

فأنت ترى مني يا سيدي الفاضل أن «قد» في كلام المكبري مبتدأ خبره قوله : « لا تمنع من ذلك » أي أن وجود « قد » في الكلام لا ينافي أن تكون «أن» مصدرية . فليس مما أنتم بسبيله . وتقبلوا تحياتي وإجلالي

عوض السيد السمل

ويل للحقائق منا

في العدد (٣٣٩) من الرسالة الزهراء كتب الدكتور زكي مبارك — وإن يكن أخفى اسمه فقد نم عليه أسلوبه — مقالته «نعيمة الأسلوب» وفيها يلوم زمانه وأهل زمانه ، ثم يقارن بين حاله

وحال النبي أيوب شيخ الصابرين فيقول : « وأين نجيمة أيوب في دنياه من نجيمتي في دنياى ؟ ... كان الدينار لعهد أيوب يمون الرجل شهراً أو شهرين ، وأما في عهد يهان فيه الرجل إن اكتفى بالدينار يوماً أو يومين ، فمن يسلطني على دهري فأسجل رزاياه على نحو ما صنع أيوب ؟ »

وفي العدد (٣٤٠) كتب أستاذنا الزيات آيته : «هل خصب الأرض يستلزم جدب القرائح» فكان مما قاله فيها : « تستطيع أن تقول إن مصر في جملتها بلد غنى ، يؤتى أكله كل حين بيسير الجهد وقليل النفقة ، فأهله آمنون من موت الجوع ، لأن الفقير يملك أن يمسك روحه بنصف قرش ! وما أيسر ما يجد قرشين في اليوم بالعمل الحقير أو السؤال الملحف » !...

هـذا قول الزيات وذلك قول مبارك ، وبينهما التناقض الواضح ، لأن الفقير عند الزيات يضمن قوته بنصف قرش ، فلا يصعب أن يضمن الغنى قوته بقروش ... ولـكن المبارك يوهمنا بأن المكتفي بيننا بالدينار ينفقه في اليوم أو اليومين مهان محتقر ! فأين يقف القراء المساكين من هذين القولين ؟ ...

أصرح برغم صداقتي بالدكتور مبارك أن هواى مع أستاذي الزيات ، وفكرى يميل حيث مال فكره العبقرى ، والصداقة شيء والرأى شيء آخر يا دكتور ...

ولقد كان الأستاذ عزيز فهمي الداعب المدقق البارع موفقاً حين أزال عن الدكتور مبارك (مكياجه) و (رتوشه) فقال ساخراً متهكماً : « إن الـكاتب من الـكتاب الذين يشعرون بأن الإنسان يهان إذا اكتفى بالدينار في اليوم أو اليومين ... فهو من غير شك قد رحمه الله من إهانات يا لها من إهانات لو لم يكن ينفق الدينار في اليوم أو في اليومين . . . كان الله في عون الـكتاب وغير الـكتاب من أبناء اليوم الذين ينفقون الدينار في الأسبوع أو في الشهر أو في العام . . . إن هؤلاء هم الأيوبيون — لا الأيوبون يا أستاذ عزيز ! — »

سامحك الله يا دكتور مبارك وغفر لك قولك ! . . . إذن ألف رحمة وحسرة على كثير من الأدباء في مصر لا يجدون الخبز الأسود إلا بشق الأنفس ، وقد ينفقون القرش ـ القرش لا الدينار يا دكتور ! ـ في اليوم أو اليومين ! . . . إذن ألف أسف لذلك العدد الضخم من الكتاب والصحافيين الذين تتلقفهم المقاهي وتتلاعب بهم الأندية أو الطرقات ، وهم إلى الصعاليك والمشردين البؤساء أقرب منهم إلى الكتاب والأدباء ! ...

إنك سعيد ومحظوظ ومحسود يا دكتور ، لأنك تعتبر نفسك مهاناً لأنك تنفق في اليوم أو اليومين ـ على الأكثر ـ ديناراً بأكمله . . . يكاد قلمي أن يسطر عبارة لوم واتهام لك ، إذ تسبح في بحار النعيم وتخطر في فردوس الغنى ، وأمامك الـكثير من إخوانك تصرخ أمعاؤهم جوعاً ، وأجسامهم ضنى ومرضاً ؛ وأنت لا ترق ولا تلين ، فتعطيهم ما يفضل من دنانيرك من قروش ومليمات ! . . . ثم لا تكتفي بذلك ، بل تذهب فتغالط وتشكو وتتألم !! . . . ويل للحقائق منا يا دكتور ! . . .

« كلية اللغة » أحمد جمعة الشرباصي

إعراب جملة

سيدي الأستاذ الكبير صاحب الرسالة الغراء

في الوسط الأدبي الذي أعيش فيه خلاف على إعراب الجمل الآتية وما في حكمها :

يريد أن يعرب البيت فيعجمه

يريد أن ينجح فيرسب

يريد أن ينهض فيكبو

فهل « الفاء » للعطف فينصب ما بعدها ؟ إن يكن ذلك فإن الإرادة تنسحب إلى الفعل الثاني ، ومدلوله غير مراد . فالإعجام والرسوب والكبو غير مقصودة

وإن لم تكن الفاء للعطف فما معناها وما عملها في الجملة ؟

(ديروط) ع . مصطفى

(الرسالة) لا يجوز في يعجم ويرسب ويكبو إلا الرفع . واختلفوا في إعراب الفاء فقالوا إنها للعطف على الفعل يريد ، وقالوا إنها للاستئناف وجملة يعجم في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو . وقد ورد هذا التركيب في رجز الحطيئة : «الشعر صعب وطويل سلمه» إذا ارتقى فيه الذى لا يعلمه زلت به إلى الحضيض قدمه « يريد أن يعربه فيعجمه » (أنظر المغنى في حرف الفاء)

الوحدة المذهبية في شمال أفريقيا

جاء في الرسالة الغراء بعدد ٣٣٦ من مقال الأستاذ أبي الوفا بعنوان : (شمال أفريقا والأستاذ الحصرى) العبارة التالية :

« أما الوحدة المذهبية فالمغرب من أقصاه لأقصاه على مذهب إمام دار الهجرة مالك بن أنس وليس فيه طوائف دينية كالرافضة والأباضية وغيرهما (كذا) من بقية الفرق الدينية التي توجد كثيراً في بلدان الشرق العربي والإسلامي

إن مقال الأستاذ يشعر أن الأباضية ليسوا من الفرق الإسلامية . والذي يلفت النظر أن مقاله هذا جاء عقب قوله : « وليس في المغرب أقليات دينية سوى أقلية ضئيلة من اليهود »

كان الأولى بالأستاذ أن يقول بدل جملة الطوائف الدينية : وليس فيه (أي شمال أفريقا) مذاهب إسلامية أخرى كالمذاهب التي توجد كثيراً ... الخ . أما نحن فلسنا الآن بصدد الرد على الأستاذ أبي الوفا لقوله بعدم وجود أباضية بشمال أفريقا ، لأني أعتقد أن العلامة الأستاذ أبا إسحاق اطفيش نزيل القاهرة الآن ، وهو من جلة علماء الأباضية بشمال أفريقا لن يسكت عن الجواب وإيضاح الحقيقة لمن يتجاهل أو يجهل وجود الأباضية المسلمين بشمال أفريقا بأهم مدنه من طرابلس الغرب وتونس والجزائر ووادى ميزاب وغيرهن من المدن المشهورة، من أقدم التاريخ حتى الآن وإلى ما شاء الله من الزمن ، وحسبهم مفخرة تمسكهم بالعروة الوثقى من الدين الإسلامى الصحيح

الحق أن النزعة الإسلامية المتأصلة في قرار نفوسنا تضطرنا لإصلاح أغلاط إخواننا فينا . والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

والسلام عليكم — **أحمد الكندى**

مراقب بعثة سلطنة مسقط — عمان

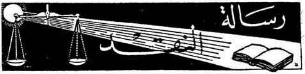
القصص المدرسية

أخرج الأساتذة سعيد العريان ، وأمين دويدار ، ومحمود زهران ، حلقة جديدة من سلسلة القصص المدرسية التي يوالون إصدارها منذ سنين ، ليسدوا النقص البادى في أدب الأطفال العرب ؛ وهذه الحلقة الجديدة هي مجموعة من أربع قصص في ١٦٠ صفحة : اثنتان منها لكبار التلاميذ في المدارس الابتدائية ، والاثنتان الأخريان على المنهج الجديد لتلاميذ السنة الأولى في المدارس الابتدائية لدروس القصص ، ورياض الأطفال

والقصص الأربع مكتوبة بأسلوب سهل ممتع ، معروضة عرضاً فنياً بليغاً يشوق الطفل ويلذه ، ويقدم له الفائدة في أسلوب رشيق حلى

وثمن القصص الأربع جميعاً عشرة مليمات

فنرجو أن ينتفع تلاميذ المدارس الابتدائية ، ورياض الأطفال بهذه المجموعة الجديدة من القصص المدرسية ، وأن يجد مؤلفوها من التشجيع ما يعينهم على الاستمرار في هذا الباب الجديد من أبواب الأدب



كتاب «الامتاع والمؤانسة»

أتحدث إلى القراء عن طرفة من أثمن طرائف الأدب القديم يُعدّ ظهورها فى هذا العصر من خير ما أثمرت المطابع المصرية من كتب الأدب الرفيع ، كما يعد الاتجاه إلى نشرها من أحسن ما وفقت إلى التفكير فيه لجنة التأليف والترجمة والنشر ، على كثرة ما وفقت إليه فى تفكيرها . وتلك الطرفة النفيسة هى كتاب : « الإمتاع والمؤانسة لأبى حيان التوحيدى » .

وإنك لتقرأ هذا الكتاب من أوله إلى آخره ، فيملأ نفسك روعة ، قبل أن يروعك أدب مؤلفه الفذّ بما تراه فيه من براعة الحسن فى جودة طبعه ، ودقة تصحيحه ، وصدق النظر فيه ، وكمال العناية بكل لفظ من ألفاظه .

وقد قرأت الجزء الأول من هذا الكتاب ، وكنت قد اطلعت على عدة صفحات من نسخته الأصلية المأخوذة بالتصوير الشمسى المحفوظة بدار الكتب المصرية ، وهى النسخة الوحيدة لهذا الجزء رغبة فى تتميم بعض البحوث عن مؤلفه أبى حيان التوحيدى ، وإذا بى أرى جميع سطورها مغمورة بالتصحيف والتحريف ، والنقص والزيادة ؛ فلا يهتدى السارى فى ظلمات هذه النسخة إلا بمصباح قوى من الأدب القويم ، والذوق السليم ، والمران الطويل ، والصبر الذى لا يعرف الضجر .

وقد بعثنى على تناول الكتاب من هذه الناحية مقالان قرأتهما فى مجلة الرسالة للدكتورين زكى مبارك وبشر فارس تغاضيا فيهما كل التغاضى عما مُلئتْ به صُحفه من حُسن وإحسان رائعَين ، وأغفلا كل الإغفال تلك الجهود القوية الملموسة فى كل ناحية من نواحيه ، وشُغلا بعدة كلمات تافهة قد تسقطاها فى هذا الكتاب ، زاعمين فى بعضها زعماً لم يؤيده الواقع فى شىء أن مصححيه الفاضلين قد فاتهما تصحيحه أو شرحه ، وفى البعض الآخر منها أنهما قد صححاه تصحيحاً أو شرحاه شرحاً لا يلائم الصواب .

وقبل أن أتحدث إلى القراء عن هذين المقالين أريد أن أنبههما وأمثالهما من النقاد إلى أنه لا ينبغى أن ينشر فى الصحف فى نقد أى كتاب إلا ما يتعلق بقيمته الفنية ومنزلته بين أشباهه من الكتب ، والميزات التى تميز بها عن غيره من المؤلفات فى فنه ، وما كان يفقد هذا الفن لو أن هذا الكتاب لم ينشر ، والفائدة التى تعود على القارىء من قراءته ، ثم الحديث عن مؤلفه ومنزلته بين أشباهه من علماء هذا الفن ، والباعث له على تأليف هذا الكتاب ؛ وما إلى ذلك من الأمور التى تمنى جمهور القراء عامة دون فرد أو أفراد .

أما تلك الأمور التصحيحية التى تعتبر من جزئيات الجزئيات والتى لا يعنى بها غير مصحح الكتاب وحده دون غيره من القراء ، فإن نشرها فى الصحف ليس مما تقتضيه العقلية العلمية .

وذلك كأن يذكر الناقد كلمة محرفة — فى زعمه — بين ملايين من الكلمات الصحيحة ، أو حرفاً معجماً حقه الإهمال ، أو مهملاً حقه الإعجام بين ملايين الحروف التى رُوعِىَ إعجامها وإهمالها ، أو نقطة فى موضع شولة ، أو العكس ، أو قوسين وضعا موضع خطين ، أو خطين وضعا موضع قوسين ، أو تفسير كلمة قد استظهره مصحح الكتاب ، ثم بدا للناقد تفسير آخر ، فإن أمثال هذه الملاحظات لا تساوى ما يبذل فيها من ورق ومداد . وأيضاً فإنه لا يمكن قراء هذه الملاحظات فى الصحف معرفة صوابها من خطئها ، ولا تمييز حقها من باطلها ، إذ لا يمكن ذلك إلا بقراءة الملاحظة ، ثم مطالعة موضعها فى الكتاب وأصله معاً حتى يتبين للقارىءُ صواب النقد من خطئه ، ولا يتأتى ذلك لقراء الصحف غالباً كما هو معروف .

وأولى بهذا الصنف من النقاد أن يبعثوا بجميع ملاحظاتهم التى من هذا النوع إلى مصحح الكتاب ليدرسها ثم يستدركها فى الطبعة الثانية إن كانت مما يستحق الاستدراك ، كما فعل الأستاذ محمد كرد على بك فى ملاحظاته على الكتاب الذى نحن بصدده ، فإنه بعث بها جميعها إلى الأستاذ أحمد أمين مختتمةً بعبارات الإعجاب والتقدير والشكر ، وقد نشرها الأستاذ أمين

في آخر الجزء الأول من هذا الكتاب مقدّمةً بالشكر الجزيل والثناء الجميل على صاحبها

وبعد، فالمطلع على هذا النقد اطلاعاً منصفاً يرى أنه – على طوله واتساع كاتبيه في شرحه وتبرير ما فيه من الملاحظات – يرجع في جملته إلى اختلاف وجهتي النظر بين المصحح والناقد، والتباين في ذوقيهما؛ أكثر مما يرجع إلى حقائق علمية أو نصوص ثابتة، ولا يعترض بنظر على نظر ولا بذوق على ذوق

ومن أمثلة ذلك ما أطال به الدكتور بشر في مقاله من ذكر شولات ونقط، وما إلى ذلك مما يسميه أرباب الطباعة بالترقيم وضعت في غير مواضعها من عبارات الكتاب كما زعم، وقد استغرق منه هذا الإحصاء قرابة نصف صفحة من مقاله؛ ولم يدر أن هذا الترقيم إنما يمليه الذوق وحده، ولا يرجع وضعه إلى قواعد ثابتة إلا في رسم العلامات؛ فربما قرأت عدة عبارات فتفهم أن بعضها متصل ببعض، فتضع بينها شولات؛ ثم يقرؤها آخر فيفهم أن بينها انفصالاً من ناحية وانفصالاً من أخرى فيضع شولة منقوطة وهكذا، وكلا الفهمين صحيح لا يعترض بأحدهما على الآخر

وقلّما رأيت مصححاً قرأ صفحة ووضع هذه الفواصل بين عباراتها حسب ذوقه في فهم الكلام، ثم عرضت على آخر بعده فوافقه على ذلك؛ بل لا بد أن يجري قلمه في هذه العلامات بالمحو والإثبات حسب ذوقه هو أيضاً؛ وكذلك لو عرضت هذه الصفحة على ثالث ورابع

وأشهد لقد حسدت الدكتور بشر أشد الحسد على ما منحه الله من اتساع الزمن ورحابة الصدر وقوة الصبر وطول البال حتى استطاع أن يفرغ لتسقّط هذه العلامات التافهة الضئيلة والتقاطها من كتاب كهذا فيه الألوف منها

ومن هذه الأمثلة أيضاً ما سماه (تباعداً عن سياق النصّ) في عبارة أوردها من كلام المؤلف يخاطب الوزير أبا عبد الله العارض قال (أي التوحيدي): « فقلتُ قبلُ: كلُّ شيء أريدُ أن أُجاب إليه يكون ناصري » الخ. وقد فهم مصححا الكتاب من هذه العبارة أن التوحيدي يريد من الوزير أن يجيبه إلى كل شيء يريده، ليكون ذلك معيناً له وناصراً على ما يريده الوزير من الإمتاع والمؤانسة بمجلس التوحيدي؛ وقد ضبطا تلك العبارة على هذا الوجه تبعاً لما فهماه منها، وهو فهم صحيح لا غبار عليه ولا مطعن فيه

وقد رأى الناقد أن تُضبط العبارة هكذا: « فقلتَ قبلَ كلِّ شيء: أريد أن أجاب إليه » الخ فاهماً أن أبا حيان يريد إلى الوزير أن يجيبه إلى شيء واحد قبل إمتاعه ومؤانسته، وهو فهم صحيح أيضاً مع شيء من الضعف، ولا يُعترض بفهم على فهم كما قدمنا

وإذا بحثنا كلا الفهمين وأردنا الترجيح بينهما وجدنا أن الفهم الأول أليق بحال أبي حيان مع الوزير أبي عبد الله كما يتبين ذلك من ثنايا كتابه

وأيضاً فلا شك في أن إرادة أبي حيان من الوزير أن يجيبه إلى كل شيء يريده خير من أن يريد منه الإجابة إلى شيء واحد.

ومنها ما سماه: (تجافيا عن أسلوب الكتاب) وما أكثر الأسماء لديه وأقربها إلى قلمه! وذلك أنه رأى عبارة من عبارات الكتاب مختتمة بكلمة: (تُجِيدُها) وبعدها عبارة أخرى مختتمة بكلمة: (تَمُدُّها)

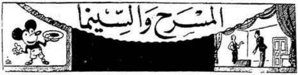
هكذا ضبط المصححان الفاضلان هاتين الكلمتين

وقد رأى حضرة الناقد أن الأفضل في ضبط الكلمة الأخيرة (تُمِدُّها) بضم التاء وكسر الميم، معللاً ذلك بأن الازدواج الذي التزمه المؤلف في كتابه لا يتم إلا بالتوافق التام بين (تُجِيدُها) و (تُمِدُّها) في جميع الحركات

ولو تفضل حضرته فألمّ إلماماً يسيراً بقواعد السجع والازدواج في فن البديع، لرأى أنهما يأتيان على أكمل وجه وأحسنه بدون هذا التطابق الدقيق في جميع الحركات والحروف، والتزام الدقة في ذلك يُعدُّ من لزوم ما لا يلزم، إذ السجع في هاتين العبارتين تام لا عيب فيه وإن لم يتطابق اللفظان في جميع الحركات

على أن المؤلف لم يلتزم في جميع كتابه تلك الدقة في الازدواج والسجع، بل كثيراً ما يكتفي باتفاق أواخر العبارات في الوزن وإن لم تتفق في الحروف، بل قد يغفل الازدواج والسجع إغفالاً تاماً

ومنها ما سماه: (تركا للغامض على حاله من الغموض والإبهام) وقد أورد من ذلك عبارة ذكرها التوحيدي في معرض الحديث عن صيانة النفس والقناعة وصعوبتهما على الإنسان، وشدة احتمالها، والمشقة الشديدة في التخلق بهما، فقال ما نصه: « وصيانة النفس حسنة إلا أنها كلفة مُحرِجة إن لم تكن لها أداة تُجِيدُها، وفاشية تَمُدُّها، وترك خدمة السلطان غير الممكن، ولا يستطاع إلا بدين متين » الخ. وقد خفي على الناقد



فلما «مياه الظلام» و«العودة الى الريف»

٢٤ + ١٦ = ٤٠ ... هذه هى القروش الأربعون التى خرجت من جيبى عن طيب خاطر . وإنى أصارح القراء بأنى أبكى عليها الآن كما لو كانت أربعين ألفاً من الجنيهات !

دفعت المبلغ الأول فى شباك تذاكر سينما «ستوديو مصر» ثمن تذكرتين ؛ إحداهما لى والأخرى لصديقى الذى أتأبطه فى الذهاب ويتأبطنى هو فى العودة ! ودفعت المبلغ الثانى فى شباك سينما «الكوزمو» ويا ليتنى ما دفعت هذا ولا ذاك ، فقد علمت — بعد فوات الوقت — أن المبلغين ذهبا إلى وجه الشيطان !

حرصت على أن أشهد أول عرض فى استوديو مصر لشريط «حياة الظلام» . وقد كان بودى أن أرى عملاً فنياً رائعاً ، فلم أر عملاً فنياً على وجه الإطلاق . وإنما رأيت صوراً تتكلف الحركات ، وأفواهاً تتكلف الكلمات ، ومناظر تتكلف وتفتعل افتعالاً ... كل ذلك فى قصة لم يكن بها من بأس كقصة للقراءة ولكنها كانت ساقطة أشنع السقوط بوصف أنها سيناريو للسينما

ولا ندرى فوق ذلك ماذا دهى آلات تسجيل الصوت فى استوديو مصر ؛ فقد كان فسادها صارخاً ، حتى أن الكلام لم يكن يصل إلى مسامع الجمهور إلا وتصحبه همهمات تخبأ الألفاظ وتلف مخارج الكلمات . ولا ندرى أيضاً لماذا يعنى هؤلاء الناس بإبراز هذه الوجوه التى جربوها وفشلت مراراً ؛ أو نسى القوم خيبة بطل هذا الشريط فى سابقه «فتش عن المرأة» ! ولا ندرى لماذا لا يفتشون عن وجوه جديدة يعطونها الفرصة لكى تظهر وتنجح ؟

والمؤلم أن يضطر الناقد إلى الاعتراف بأن شخصية واحدة من شخصيات هذا الشريط هى التى حظيت بشىء من التوفيق وهى فردوس محمد التى أصبحت مختصة بأدوار الأمهات تقوم بها فى إتقان تام ونجاح فائق ؛ وعلى الشخصيات الباقية السلام !

أما الشريط الآخر ، أو الفضيحة الأخرى من فضائح هذا الموسم ، فهو «العودة إلى الريف» الذى آثرت السيدة ملك أن تبدأ به حياتها الفنية كممثلة سينما . فهذا الشريط ليس فيه موضوع ولا تمثيل ولا تلحين ولا إخراج .

وقد وضح لنا من البحث أن العمل فيه قد جرى فى حدود مالية ضيقة . وليس هذا عذراً يقبله الجمهور المصرى الذى لا حجاب بينه وبين الأفلام الأجنبية الكبرى التى ينفق عليها من

الفاضل معنى قوله : «وترك خدمة السلطان غير الممكن» الخ ، فألح فى السؤال عما يريد المؤلف بهذه العبارة ، وهى عبارة فى غاية الوضوح والبيان لا تحتاج إلى توضيح ؛ وتوضيح الواضح أكثر مشقة من توضيح الخفى المبهم

يريد المؤلف بهذه العبارة أن صيانة النفس وإعزازها عن مواطن المذلة للملوك والأمراء والعزوف عن خدمتهم ، كل ذلك غير ممكن ، لما تقتضيه ضرورات العيش وحاجات الحياة ؛ ولا يستطيع ذلك إلا من عمر الدين المتين قلبه ، وملأت الثقة بالله نفسه . وبعد فإن لنا نصيحة نريد أن نسرها إلى الناقد الفاضل ، وهى أنه ينبغى لمن يقدم على نقد كتاب كالإمتاع والمؤانسة أن يكون لديه إلمام يسير بأوليات قواعد النحو ، فيعرف حكم الفاعل ونائبه ، وبماذا يرفع المثنى والجمع ، وما إلى ذلك ، وإلا رد نقده عليه ، وكان حديثه عن الكتب منه وإليه

قال مؤلف كتاب الإمتاع والمؤانسة فى تفسير معنى الخَلَق بفتح الخاء واللام ما نصه : «وأما قولهم : هذا شىء خَلَقٌ فهو مُضَمَّنٌ مَعْنَيَيْن» الخ

وقد ذكر الناقد هذه العبارة وكتب تحت قوله : «مضمَّن معنيين» : «كذا» حاسباً أنه قد ظفر بغلطة شنيعة ؛ يريد حضرته أن فى قوله : «معنيين» غلطاً نحوياً ! وكان الصواب فى نحوه هو : «معنيان» ! فما رأى سيبويه والخليل والفراء والكسائى ومن إليهم من أئمة العربية فى هذا النحو الجديد ؟ !

وهل فى قواعدهم أن للفاعل نائبين : نائب أصيل ونائب مساعد كما لبعض وزارات الحكومة وكيلان : أصيل ومساعد ؟ !

ألا يعرف الأستاذ أن ضمّن يتعدى إلى مفعولين ؟

الحق أن تلك الزلة تهدم مقاله من أساسه ، وتجعل صاحبها غير أهل لنقد كتاب كالإمتاع الذى نحن بصدده

هذا ما يتعلق بنقد الدكتور بشر . وسنتحدث فى المقال الآتى عن أمثلة من نقد صاحبه

(ع . ص)

الأموال ما لا يكاد يُصدَّق ، ولا عذر للسيدة ملك فى قبولها الظهور فى شريط كهذا من المحقق أنها كانت – قبل قبولها الاشتراك فيه – تعلم موضوع قصته وتعلم أنه سوف يخرج فى مراعاة تامة للظروف المالية الشديدة

أما تسجيل الأصوات فكان فضيحة مستقلة ؟ وأما التمثيل فقد كان عاراً يتحرك على الستار . وأما الأضواء فقد كانت قذى فى عيون الجمهور. وأما المناظر فقد كانت عنواناً على فشل مهندسها. وأما الإخراج فقد كان الشيء الوحيد الذى يمكن السكوت عليه !

وبعد ، فهل رأى القارئ اثنين من حوذية العربات «الكارو» يشربان الوسكى فى شرفة «الكونتننتال» ؟ هذا هو موضع هذين الشريطين بين الأشرطة الأجنبية الهائلة التى ظهرت فى هذا الموسم

الإخراج ... الإخراج ...

وبهذه المناسبة لا نجد مندوحة عن الإشارة إلى فوضى الإخراج السينمائى فى مصر . والواقع أن أصحاب الأفلام يحارون بين نارين : فاستديو مصر على فداحة أجره ، يفرض لوناً من الديكتاتورية منقطع النظير . إذ يفرض ممثلين بأسمائهم لا يجد أصحاب الأفلام بدا من قبولهم على مضض ! والاستديوهات الأخرى وأصحابها من اليهود ، على قلة استعدادها ورداءة آلاتها ، تفرض مثل هذه الديكتاتورية فى إسناد الأدوار إلى ممثلين من ذوى الأسماء المروفة فى غير نظر إلى التناسق بين طبيعة الممثل وطبيعة الدور الذى يلعبه فى الشريط . يضاف إلى ذلك المعاملة المالية المنقطعة النظير فى الرداءة والجشع

لماذا لا تؤسس الحكومة «استديو» تؤجره لأصحاب الأفلام وتسند إدارته إلى خبراء فنيين من شبابنا ذوى الثقافة السينمائية الممتازة ؛ وهم كثيرون بحمد الله !؟

الأوبريت فى الفرقة القومية

أشرنا فى كلمة عابرة منذ أسبوعين إلى استعداد الفرقة القومية لإخراج رواية القضاء والقدر ، وهى من نوع الأوبريت الذى ليس لهذه الفرقة عهد به .

وقد سمعنا فى الأوساط الفنية لغطاً يدور حول الرغبة فى إخراج هذا النوع الذى اندثر من حياة المسرح المصرى منذ سنين . وقيل إن الحكومة تنوى أن تعين المعهد الملكى الموسيقى على أن ينهض بمشروع جديد يكون من آثاره أن يظفر الجمهور بألحان رائعة فى مسرحيات قوية . كما قيل لنا إن ثمت مؤتمراً مؤلفاً من أعلام الموسيقا والمسرح ، سوف يبحث المشروع من نواحيه المختلفة .

وإلى أن يتم تأليف « أوبريت » جديدة ، لا ندرى لماذا لا تقوم الفرقة بإخراج بعض الروايات القديمة الناجحة التى ظهرت منذ عشرين سنة ونيف ! كرواية « العشرة الطيبة » التى تمتاز بألحان لا نظير لها من وضع المرحوم سيد درويش ؟

(أبو الفتح الاسكندرى)

{ طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المبدولى ـ عابدين }